

جمعية أنصار السنة المحمدية
فرع بلييس - لجنة الشباب

عاشرة ربيع الأول

إعداد
لجنة الشباب

إشراف
محمد حسني سلامة

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وأهل بيته أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

فإن العلم الشرعي هو ميراث الأنبياء فإنهم لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم، ولا زال المسلمون يتوارثون العلم الشرعي عن النبي ﷺ ويتناقلونه جيلًا بعد جيل، وقد انبرى له جهابذة العلماء وأساطين الفقهاء وأعلام النقاد لتأصيل أصوله وتفريع فروعه ووضع قواعده ونفي الكذب عنه فما ادخروا في سبيل ذلك وقتًا ولا مالا وما قدموا على خدمته أهلاً ولا ولدًا فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

إن العلم الشرعي أشرف مطلوب يطلبه المسلم وأرفع غاية يسعى إليها الساعي؛ لأنه لا نجاة إلا به، ولا سعادة في الدارين إلا لمن سلك طريقه؛ قال الهاوردي: "اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجدَّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه، قال الله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [سورة الزمر: ٩] فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم وقال الله تعالى { وَمَا يَعْهَدُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [سورة العنكبوت: ٤٣] فنفي أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرًا أو يفهم عنه زجرًا.^(١)

وإن حظوظ الناس من العلم الشرعي متفاوتة فهم ما بين مُعْرِضٍ ومقلِّ ومُستَكثِرٍ قال تعالى: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

(١) أدب الدنيا والدين للهاوردي ص (٣٦)

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ { [سورة فاطر: ٣٢]، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يُعلم أننا نعيش واقعا تشتد فيه الحاجة إلى طلب العلم والعمل به لاسيما ونحن في زمن أعرض الناس - إلا قليلا - عن سبيل العلماء وصار العلماء العاملون قلة في الناس، وكثُر المتكلمون في دين الله بغير علم ولا بصيرة، وإن هذا ليلقي بالمسئولية على كل مسلم أن يتحلى بوسام العلم ويجد في طلبه وأن يرفع عن نفسه عار الجهل ليعبد الله على بصيرة.

قال الماوردي: فينبغي لمن زهد في العلم أن يكون فيه راغبًا ولمن رغب فيه أن يكون له طالبًا ولمن طلبه أن يكون منه مستكثرًا ولمن استكثر منه أن يكون به عاملاً ولا يطلب لتركه احتجاجًا ولا للتقصير فيه عذرًا؛ ولا يسوّف نفسه بالمواعيد الكاذبة لئيمئها بانقطاع الاشغال المتصلة فإن لكل وقت شغلا ولكل زمان عذرًا وقد قال الشاعر:

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المراء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي^(١)

وتأتي هذه المسابقة المباركة لتسلك سبيلها في نشر العلم الشرعي وتسهيله وتيسيره معذرةً إلى ربنا وأداء لوصية رسولنا ﷺ واستمساكًا بسبيل المؤمنين الذي تركنا عليه النبي الأمين وسار عليه الصحب الكريم وسلكه أهل الحق والدين، إنه سبيل قوامه القرآن والسنة بفهم سلف الأمة.

ونعائش في هذه الحلقة وما يليها من حلقات سورة يوسف ﷺ لنعلم أن طريق الحق ليس مفروشا بالورود إنما هو طريق تعتريه العقبات وتحفه الابتلاءات ولكن حسبنا من نهايته قول ربنا { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }.

(١) انظر: أدب الدنيا والدين ص (٤٦، ٤٧)

ثم نتقل إلى باب العقيدة لنؤكد على أن الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار فرع عن الإيمان باليوم الآخر وأنه ما ينبغي أن ننسى مشهد نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وهو مشهد ربما غاب عن أذهان كثير من الناس في زحمة الانشغالات ليفرز ذلك جرأة على المحرمات وتكاسلا عن الطاعات، فيأتي حديثنا عن الجنة والنار ليرقق تلك القلوب ويجدد إيمان الناس باليوم الآخر ويزيد من يقينهم بما أعده الله للطائعين وما أنذر به العصاة المعرضين وليرقق القلوب على ما قاله تعالى: {فَمَنْ زُحِّجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَمَةٌ الْغُرُورِ} [سورة آل عمران: ١٨٥]

ثم يأتي حديثنا في باب الزكاة ذلك أن المرء إذا زاد يقينه بالثواب والعقاب والجنة والنار، فليعلم أن المال من أوسع الأبواب التي توصل الناس إلى الجنة إن هم جعلوه وسيلة لذلك ولم يجعلوه هدفا لذاته، وهو كذلك من أعظم أسباب ورود النار إن لم يؤدوا حق الله فيه، وإن الزكاة أعظم حقوق المال وهي ركن من أركان الإسلام، وعنوان على الدخول فيه واستحقاق أخوة المسلمين قال تعالى: {إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [سورة التوبة: ١١]

وإذا كنا ندعوا الناس إلى استباق الخيرات فإن الزكاة أحد أهم مجالات الخيرات، ولذا فقد أوصى الله بها أنبياءه ورسله فقال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [سورة الأنبياء: ٧٣]

ثم نختم الكلام بعلم من الأعلام وشيخ من شيوخ الإسلام وهو ابن تيمية رحمه الله كان ذا قلم يسابق البرق إذا لمع، والودق إذا همع، كان ذا شجاعة بها تُضرب الأمثال، وبيعضها يتشبه أكابر الأبطال، وشى به أعداؤه فنفوه فقال: "أنا جنتي وبستاني في صدري"، افتروا عليه ورموه بالكفر والفسق فقال: "وأنا في سعة صدر لمن يخالفني"، سجنوه وضيقوا عليه في نهاية حياته فأقبل على القرآن متدبرا ومفسرا فقال: "وندمت

على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن " ثم آن للفارس أن يترجّل وأن يرحل عن هذه الدنيا وقد وقف في ختمته الأخيرة عند قوله تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ } في

مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ { سورة القمر: ٥٤-٥٥ }

ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن، وأن يتقبل منا صالح القول والعمل، وأن يغفر لنا الخطأ، والزلل وأن يجزي خيرَ الجزاء كلَّ من ساهم في إعداد هذه المسابقة أو شارك فيها أو دعمها بأي جهد أو سُرَّ بنجاحها، إنه سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وكتبه

أبو أحمد / محمد حسني سلامة

تفسير سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((أَكْر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)).

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
آيات	الأمر، والعبر المختلفة، والعلامة الظاهرة.
الكتاب	القرآن
المبين	المظهر الموضح للأشياء، وأنه موضح للحلال والحرام، ومبين لأمر الاعتقادات، ومبين للعبادات، ومبين لأخبار من كان قبلنا، ونبا من سيأتي من بعدنا.
القصص	قَصَّ أثره، أي تتبَّعه. والقِصَّةُ: الأمر والحديث. وقيل: القص: تتبع الأثر شيئاً بعد شيء، وقص عليه الخبر قصاً وقصصاً: أعلمه به، وأخبره. وقيل: القص: البيان ^(١) .

قال الله تعالى: ((أكر)):

توقف في تفسير الحروف المقطعة جمع من العلماء؛ ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه فسرها، وثبت عن بعض المفسرين من الصحابة وغيرهم أنهم بينوا تفسيرها واختلفوا فيها على أوجه: منها: أنها قسم أقسم الله به وهو من أسمائه. ومنها: أنها فواتح يفتح الله بها

(١) تاج العروس ٩٨/١٨ قصص.

القرآن. ومنها: أنها اسم من أسماء القرآن. ومنها: أنها اسم من أسماء الله (١).
 ورجح العلامة الشنقيطي القول أن المراد بها: إظهار إعجاز القرآن (٢).
 وقال العلامة السعدي: الأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثاً بل لحكمة لا نعلمها (٣).
 مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً يجمعها: نص حكيم قاطع له سر (٤). في تسع وعشرين سورة من البقرة حتى القلم.
 سبب النزول: عن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله: ((آلر تلك آيات الكتاب المبين)) [يوسف: ١] إلى قوله: ((نحن نقص عليك أحسن القصص)) [يوسف: ٣] فتلاها عليهم رسول الله زماناً (٥).

التفسير والبيان:

تشبه فاتحة هذه السورة فاتحة سورة يونس، لكن وصف القرآن هنا بالمبين وهناك بالحكيم، والسبب أن سورة يوسف تعبر عن أحداث جسام مر بها نبي كريم صبور فناسبها الوصف بالبيان، وأما سورة يونس فموضوعها إثبات أصول الدين من توحيد الله، وإثبات الوحي والنبوة، والبعث والجزاء، وهذه يناسبها الوصف بالحكمة.

- (١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بن بشير (١/ ٩٤). وانظر: تفسير الطبري (١/ ٢٠٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥٠)، ومحاسن التأويل للقاسمي (١/ ٢٤٢).
- (٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ١٦٧)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٥).
- (٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٤٠).
- (٤) تفسير الطبري (١/ ٢٠٥)، زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٤).
- (٥) المستدرک للحاکم (٣٣١٩ و ٣٣٧٧)، وابن حبان (٦٢٠٩) وقال الأرئؤوط رحمه الله: إسناده قوي.

والمعنى: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب، والظاهر أن المراد بالكتاب: القرآن، والمبين إما البين في نفسه، الظاهر أمره في إعجاز العرب وتبكيتهم، وإما المبين الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وما يحتاج إليه من أمر الدين، أو المبين الهدى والرشد والبركة.

وعلى أي حال، فإن آيات القرآن واضحة جلية تفصح عن أشياء مبهمه، وآياتها تبين وتفسر غوامض الأمور، وتوضح أحكام الشريعة، وترشد إلى ما هو خير في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) أي إنا أنزلنا هذا القرآن على النبي محمد ﷺ العربي، بلغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، لتتعلموا ما لم تكونوا تعلمون من قصص وأخبار، وآداب وأخلاق، وأحكام وتشريعات، ومناهج حياة سليمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد وشؤون الدولة، ولتتدبروا ما فيها من معان وأهداف، تبني الفرد والجماعة على أقوم الأسس.

قال ابن كثير: فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدى إنزاله في أشرف شهور السنة، فكمل من كل الوجوه^(١).

ولهذا قال تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) أي نحن نخبرك بأحسن الأخبار، بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، الذي جاء تاما كاملا مفصلا كل شيء، وجاءت قصة يوسف كاملة تامة مفصلة ذات أهداف سامية وعبر كثيرة. وإن كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عما عرفناك به، أي من الجاهلين به، فلا علم لك به قط، شأنك شأن قومك، لا يعلمون من قصص الماضين وأخبارهم شيئا.

(١) تفسير ابن كثير (٦/٨).

فقه الحياة أو الأحكام:

دلت الآيات على ما يلي:

- ١- القرآن الكريم كتاب مبین، أوضح الحلال والحرام، والحدود والأحكام، والشرائع والأخلاق، ليكون هدى للعالمين، وبركة وخيرا للناس أجمعين، فهو معجزة بيّنة لمحمد ﷺ.
- ٢- القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبین، يقرأ بلغة العرب، فكان معشر العرب أولى الناس بالإيمان به، وفهم ما فيه، وتعلم معانيه.
- ٣- القرآن بيان جلي متضمن أحسن القصص، وأثبت الأخبار، وأجدى الآثار وتواريخ الأمم الماضية. والمراد بأحسن القصص: أنه اقتصر على أبدع طريقة وأعجب أسلوب، أي إن المراد من الحُسن حُسن البيان وكون الألفاظ بالغة بالفصاحة حد الإعجاز.
- ٤- الفرق بين القصص والحديث: أن القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن سلف. وسمي الخبر الطويل قصصا؛ لأن بعضه يتبع بعضها حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص.
- والحديث يكون عن سلف وعن حضر، ويكون طويلا وقصيرا، ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا، والحديث يكون عن ذلك وعن غيره، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره، وسميت قصة لأنها يتبع بعضها بعضها حتى تحتوي على جميع أمره^(١).
- ٥- قصة يوسف عليه السلام أحسن القصص، والسبب في تسمية هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقصيص هو ما تضمنته هذه القصة من العبر والحكم، وما اشتملت عليه من التوحيد والفقہ والسّير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرّة وتديبر

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري ٤٣٠.

المعاش، وجميل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا، وذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والجنّ والإنس، والأنعام والطيور، وأخبار الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهّال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن.

فهي قصة جامعة شاملة للدين والدنيا والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية الملائى بالعبر والعظات، ولعل من أهمها الصبر على الأذى والعفو عند المقدرة.

الفصل الأول من قصة يوسف عليه السلام

رؤيا يوسف وتعبير يعقوب عليه السلام الرؤيا

قال الله تعالى: ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)).

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
يكيدوا	الكيد: الاحتيال والاجتهاد. والكَيْدُ: المكر. والمُكْرُ مثل الكيد في أنه لا يكون إلا مع تدبر وفكر إلا أن الكيد أقوى من المُكْر (١).
يجتبيك	يختارُك ويصطَفِيكَ (٢).

(١) الصحاح للجوهري (٥٣٣/٢)، الفروق اللغوية للعسكري (٢٥٩)، تاج العروس للزبيدي (١٢٣/٩).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٤٦/١١).

التأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلاّ ببيان غير لفظه ^(١) .	تأويل الأحاديث
--	----------------

المناسبة:

هذه بداية مثيرة مغملة في قصة يوسف عليه السلام، تجذب ذهن القاريء والسامع لتعرف ما هو المصير، وكيف يتم حل اللغز المبهم المبدوء بقصّ يوسف عليه السلام رؤياه الغريبة على أبيه وهو صغير، وما أجابه به، من إخفاء الرؤيا على إخوته حتى لا يحسدوه ويكيدوا له. وهذا الأسلوب يحتذيه واضعو القصص، إذ يبدأون القصة بلغز أو نبأ مثير، ثم يتدرجون في حل اللغز وبيان أبعاد النبأ وحقيقته.

هل أبناء يعقوب أنبياء؟

ذكر بعض المفسرين أن المراد بالأسباط في قوله: ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ)) [البقرة ١٣٦]. أنهم إخوة يوسف وأنهم أنبياء.

والصحيح - كما ذكر ابن كثير - أن الأسباط ليسوا أولاد يعقوب، وإنما هم القبائل من ذرية يعقوب لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب قبائل، وللعجم شعوب^(٢). ويدل فعلهم بيوسف على أنهم كانوا غير أنبياء لأن الأنبياء معصومون من الحسد الدنيوي، ومن عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك، وتأمّر على قتله.

التفسير والبيان:

قال الله تعالى: ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنَّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)).

(١) لسان العرب ١١/٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٤٦٩ - ٤٧٠.

المعنى: اذكر يا محمد ﷺ لقومك قصة يوسف ﷺ حين قال لأبيه يعقوب ﷺ: إني رأيت في منامي أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد لي، سجدوا احترام وانحناء وخضوع وتواضع، لا سجود عبادة، وكان هذا جائزا في شريعتهم، وقد وصف فعل غير العاقل بوصف العاقل وهو السجود، للدلالة على أنها رؤيا إلهام، لا مجرد أضغاث أحلام. والرؤيا الصالحة جزء من النبوة، ونوع من الإخبار بالغيب إذا رآها صالح وتأولها عالم صالح، وتكون بارتسام الوقائع على الروح الصافية، وتظهر غالبا موافقة لحديث النفس. والأحد عشر كوكبا هم إخوته الأحد عشر نفرا، والكواكب هم الإخوة، والشمس والقمر أبوه وأمه. وهذا رأي جماعة من المفسرين لأن الكواكب لا تسجد في الحقيقة، فيحمل الكلام على الرؤيا، ولقول يعقوب ﷺ: ((لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ)) قال الله ﷻ: ((يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)).

قال يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا المتضمنة خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه إجلالا واحتراما وإكراما: لا تخبر إخوتك بما رأيت، حتى لا يحسدوك، ويحتالوا لك حيلة توقعك في مكروهه، فإن الشيطان عدو لآدم وبنيه، ومن دأبه إيقاع الفتنة بين الناس، كما قال يوسف نفسه: ((مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)) [يوسف ١٠٠].

وثبت في السنة عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَّقِ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَتَّعِزَّ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ))^(١).

(١) رواه البخاري (٧٠٤٤) ومسلم (٢٢٦١).

قال الله سبحانه: ((وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)).

أي: كما اختارك ربك، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك، يختارك لنفسه ويصطفيك لنبوته على آلك وغيرهم، ويعلمك تعبير الرؤيا.

وتعبير الرؤيا: الإخبار بما تؤول إليه في الوجود. وتعليم الله يوسف التأويل: إلهامه الصواب فيها، أو صدق الفراسة، كما قال يوسف لأبيه: ((هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)) [يوسف ١٠٠] وقال لصاحبي السجن: ((لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي)) [يوسف ٣٧].

قول الله تبارك وتعالى: ((وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)).

أي: يتم نعمته عليك بإرسالك والإيحاء إليك، وعلى آل يعقوب، أي أهلك وإخوتك وذريتهم، وآل الإنسان: أهله، وهو خاص بمن لمجد وشرف، كآل النبي ﷺ. كإتمام تلك النعمة من قبل هذا الوقت على جدك إسحاق، وجد أهلك إبراهيم، وقدم إبراهيم لأنه الأشرف، إن ربك عليم بخلقه وبمن يستحق الاجتباء والاصطفاء، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، حكيم في صنعه وتدييره، يفعل الأشياء على ما ينبغي.

فقه الحياة أو الأحكام:

دلت الآيات على ما يلي:

١- من قوله: ((يَا أَبَتِ)) نلتمس أدبا في تخاطبنا مع آبائنا، أيضا مع أمهاتنا، فلم يقل: (يا بابا) إني رأيت أحد عشر كوكبا، ولكنه قال: يا أبت! فجدير بنا أن نحیی لغة كتاب ربنا، ولغة نبينا محمد ﷺ، ولا نتبع سنن الهلكى والحيارى.

وقد قال الرسول ﷺ: ((استأذنت ربي أن أزور قبر أمي))، ولم يقل: استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما)، وكذلك قال الخليل إبراهيم ﷺ: ((يا أبتِ إني قد جآني من العلم ما لم يأتِكَ)) [مريم ٤٣] (١).

٢- رؤيا الأنبياء حق، ورؤيا الصالحين جزء من النبوة، والكواكب هي إخوة يوسف، والشمس والقمر أبوه وأمه، وهذا هو الأصح.

والرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة، ففي حديث أبي هريرة ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ)) قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)) (٢). وأخبر ﷺ أنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فعن أنس بن مالك ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجْلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ)) (٣).

وإنما كانت الرؤيا جزءاً من النبوة لأن فيها ما يعجز ويمتنع، كالطيران، وقلب الأعيان، والاطلاع على شيء من علم الغيب. والرؤيا الصادقة من الله، وهي التي خلصت من الأوهام.

أما رؤيا الكافر والفاجر وأمثالهم، وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب، يكون خبره ذلك نبوة. ومن المعلوم أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك نادر وقليل، فكذلك رؤيا هؤلاء.

٣- لا تُقَصُّ الرؤيا على غير عالم ولا محب ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.

(١) تفسير سورة يوسف للشيخ مصطفى العدوي.

(٢) البخاري (٦٩٩٠).

(٣) البخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٨).

- ٤- يطلب كتمان النعمة أمام من تخشى غائلته حسدا وكيدا، حتى توجد وتظهر.
- ٥- يباح أن يحذّر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلا في معنى الغيبة لأن يعقوب عليه السلام قد حذّر يوسف عليه السلام أن يقص رؤياه على إخوته، فيكيدوا له كيدا.
- ٦- في الآية دليل واضح على معرفة يعقوب عليه السلام بتأويل الرؤيا، فإنه عرف أن يوسف عليه السلام سيظهر على إخوته، فسره ذلك ودل على أن محبته له كانت مبنية على مقومات فيه، والرجل يودّ أن يكون ولده خيرا منه، أما الأخ فلا يودّ ذلك لأخيه غالبا.
- ٧- اشتمل كلام يعقوب مع ابنه يوسف على عدة بشائر، فأخبره أنه كما أكرمه الله بالرؤيا، فإن الله يجتبييه ويحسن إليه بتحقيق الرؤيا، بالسجود له.
- والاجتباء: اختيار معالي الأمور للمجتبي، ويعلمه كيفية تعبير الرؤيا وتأويل أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد، وهي إشارة إلى النبوة، ويتم نعمته عليه بالنبوة، كما أتم تلك النعمة على أجداده، لأن النعمة التامة في حق البشر ليست إلا النبوة، وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة إليها. وإن يعقوب وعد يوسف بدرجات ثلاث: هي الاجتباء أو الاصطفاء، وتعبير الرؤيا أو تأويلها، والنبوة.

الفصل الثاني: من قصة يوسف عليه السلام وأخوته

(١) اتفاقهم على إلقاءه في البئر

قال ربنا عز وجل: ((لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسْئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)).

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
للسائلين	من سأل عن نبأهم وخبرهم بلسان الحال أو المقال ^(١) .
عصبة	جماعة من الناس ^(٢) .
ضلال مبين	مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به ^(٣) .
اطرحوه أرضا	الضرح، أو الطرح: أن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية ^(٤) . وتنكير (أرضاً) وإخلاقها من الوصف، للإبهام، أي في أرض مجهولة، لا يعرفها الأب، ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الوصول إليه ^(٥) .

(١) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٩٤).

(٢) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٩٤).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٢٠٣/٢).

(٤) لسان العرب ٥٢٥/٢.

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (١٥٥/٦).

غيابت الحب	قعره ^(١) . وغيابة كل شيء ما سترك منه ^(٢) .
السيارة	القافلة. والسيارة: القوم يسرون ^(٣) .

المناسبة:

هذه بداية قصة يوسف مع إخوته، وابتدأت القصة بعرض مسألتين:
الأولى: وصف القرآن، وأنه تنزيل من عند الله بلسان عربي مبين، دال على رسالة النبي ﷺ، ورتب عليه: ((ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ)).
والثانية: الكلام على رؤيا يوسف وتأثيرها في نفس يعقوب، وترتب عليها العبرة منها وهي ((يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)).

التفسير والبيان:

تالله، لقد كان في قصة يوسف مع إخوته لأبيه عبرة ومواعظ للسائلين الذين سألوا عنهم، دالة على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء لكل سائل عن أحداث القصة، ودالة على صدق الرسول يوسف وغيره، وعلى ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه، وصدق رؤياه، وصحة تأويله، وضبط نفسه وقهرها، حتى قام بحق الأمانة^(٤). فذلك خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه.
 إنه لعبرة حين قالوا: والله ليوسف وأخوه بنيامين شقيقه أحب إلى أبينا منا، فهو يفضلهما علينا في الحب، وهما صغيران، ونحن جماعة عشرة رجال، حلفوا فيما يظنون. وأحبُّ أفعل تفضيل أي أكثر حبا منا. والعصبة: ما بين الواحد إلى العشرة.

(١) مختار الصحاح للرازي ٢٣١.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ١٢١.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٣٨٩/٤.

(٤) البحر المحيط: ٢٨٢/٥.

إن أبانا لفي خطأ واضح مجاف الصواب في ذلك، بإيثار يوسف وأخيه علينا بالمحبة، وتركه العدل والمساواة في المحبة، فكيف يفضل صغيرين ضعيفين لا كفاية فيهما ولا منفعة، على رجال أشداء، نقوم بكل ما يحتاج إليه من منافع معاشية ودفاعية، وكيف يجب الاثنين أكثر من الجماعة؟! وهذا في الحقيقة خطأ منهم لا من أبيهم لأن يوسف وأخاه صغيران يتيمان ماتت أمهما، ولأنه كان يرى في يوسف إرهابات النبوة والعقل والحكمة، وتأكد توقعه بما فهم من رؤياه.

ومع ذلك يطلب الاحتياط في معاملة الأولاد والتسوية بينهم في المحبة والمعاملة ولو في القبلية، وتجنب ما يثير التحاسد والتباغض بينهم، كما أوصى النبي ﷺ كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَيْشِيرٍ: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعِدُّوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ))^(١).

ذكر الله تعالى مؤامرتهم بقوله: ((اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠).

أي: قال قائل منهم: اقتلوا. وهذا ما قال بعض إخوة يوسف لبعض اقتلوا يوسف حسماً للمشكلة، أو انبذوه في أرض مجهولة عن العمران، فلا يستطيع الرجوع إلى أبيه، فإن فعلتم ذلك تستريحوا منه، ويصْفُ لكم وجه أبيكم، وتخلوا أنتم مع أبيكم، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركونهم فيها وينازعونهم إياها، وتكونوا من بعد يوسف أو بعد قتله أو طرحه أرضاً قوماً تائبين إلى الله مما جنيتهم عليه، أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه، أو تصلح دنياكم وتنظم أموركم بعده، بخلو وجه أبيكم، فيرضى عنكم ربكم وأبوكم.

(١) البخاري (٢٥٨٧).

((قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)).

أي: قال أكبرهم وهو يهوذا، وقيل: روبييل: لا تقدموا على قتله، فإن القتل جريمة عظيمة، وهو أخوكم، ولكن ألقوه في أسفل البئر، يلتقطه بعض المسافرين الذين يسرون في الأرض للتجارة، فتستريحوا منه بهذا، ويتحقق غرضكم وهو إبعاده عن أبيه، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم فاعلين، أي عازمين على ما تقولون، وفاعلين ما هو الصواب، فهذا هو الرأي.

بلغ فقه الحياة أو الأحكام:

أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

- ١- في قصة يوسف وإخوته دلالة على صدق الرسل، وعبرة تمخضت عنها وهي التنبيه على عاقبة البغي والحسد، وفضيلة ضبط النفس، والتصديق بتعبير الرؤيا وصحة تأويلها إن كانت من نبي أو عالم ناصح.
- ٢- لقد دفع التباغض والتحاسد والغيرة إخوة يوسف على تدبير مؤامرة لقتله أو إلقاءه في بادية بعيدة عن الناس حتى يهلك، أو يأخذه بعض التجار المسافرين ويتملكونه لأن خبر المنام بلغهم، فتآمروا على كيده، أو لمجرد الغيرة الشديدة من عاطفة أبيهم نحو يوسف وأخيه.
- ٣- إن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد، ويورث الآفات، لكن يعقوب عليه السلام العالم بذلك لم يفضل ولديه يوسف وأخيه إلا في المحبة، والمحبة ليست في وسع البشر، فكان معذورا فيه، ولا لوم عليه.
- ٤- دل قوله: وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ أي تائبين، بأن تحدثوا توبة بعدئذ،

فيقبلها الله منكم، وهو دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم، كما ذكر القرطبي. (١)

٥- علق محمد بن إسحاق على مؤامرة أولاد يعقوب على أخيهم يوسف فقال فيما رواه ابن أبي حاتم: لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده، ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله، ممن أحبه طفلاً صغيراً، وبين الأب وابنه على ضعف قوته، وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده، وسكونه إليه، يغفر الله لهم، وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً. (٢)

٦- أفعال إخوة يوسف المتقدمة تدل على أن إخوة يوسف ما كانوا أنبياء، لا أولاً ولا آخراً لأن الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا. ومما يرد قول من قال إنهم أنبياء: أن الأنبياء معصومون من الكبائر. وقيل: ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء، ثم نبأهم الله (٣)

وقد سبق بيان الرأي الأصح في هذا عن ابن كثير وغيره.

حكم الالتقاط:

الالتقاط: تناول الشيء من الطريق، ومنه اللقيط واللّقطه. أما اللقيط:

فالأصل فيه الحرية، لغلبة الأحرار على العبيد، فهو قضاء بالغالب، وهو مسلم أخذاً بالغالب أيضاً، فإن كان في قرية فيها نصارى ومسلمون، قال ابن القاسم، يحكم

(١) تفسير القرطبي: ١٣١ / ٩

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٠ / ٢

(٣) تفسير القرطبي: ١٣٣ / ٩

بالأغلب فإن وجد عليه زيّ اليهود فهو يهودي، وإن وجد عليه زيّ النصارى فهو نصراني، وإلا فهو مسلم، إلا أن يكون أكثر أهل القرية على غير الإسلام. وقال غير ابن القاسم: لو لم يكن في القرية إلا مسلم واحد، قضي للقيط بالإسلام، تغليباً لحكم الإسلام الذي يعلو، ولا يعلى عليه. أما النفقة عليه: فقال أبو حنيفة: إذا أنفق الملتقط على اللقيط فهو متطوع، إلا أن يأمره الحاكم.

وقال مالك: إذا أنفق عليه الملتقط، ثم أقام رجل البيعة أنه ابنه، فإن الملتقط يرجع على الأب، إن كان طرحه متعمداً، وإن لم يكن طرحه، ولكنه ضل منه فلا شيء على الأب، والملتقط متطوع بالنفقة.

وقال الشافعي: إن لم يكن للقيط مال وجبت نفقته في بيت المال، فإن لم يكن ففيه قولان: أحدهما - يستقرض له في ذمته. والثاني - يقسط على المسلمين من غير عوض. والخلاصة: اتفق العلماء على أنه إذا لم يكن للقيط مال: إن شاء تبرع الملتقط بالإنفاق عليه، وإن شاء رفع الأمر إلى الحاكم، لينفق منه على حساب بيت المال المعدّ لحوائج المسلمين. وإن كان للقيط مال، بأن وجد معه مال، فتكون النفقة من مال اللقيط لأنه غير محتاج إليه. ولو أنفق عليه الملتقط من مال نفسه: فإن أنفق بإذن القاضي، فله أن يرجع على الملتقط بعد بلوغه، وإن أنفق بغير إذن القاضي، يكون متبرعاً، ولا يرجع على اللقيط بشيء.

وأما اللقطة والضّوال - وهما بمعنى واحد على الأصح^(١) - فأجمع العلماء على أنها ما لم تكن تافها يسيراً، أو شيئاً لا بقاء لها، فإنها تعرّف حولاً كاملاً، وأجمعوا أن صاحبها إن جاء فهو أحق بها من ملتقطها إذا ثبت له أنه صاحبها، وأجمعوا أن ملتقطها إن أكلها

(١) وقيل: إن الضالة لا تكون إلا في الحيوان، واللقطة في غير الحيوان، وأنكر أبو عبيد القاسم بن سلام ذلك.

بعد الحول، وأراد صاحبها أن يضمّنه، فإن ذلك له، وإن تصدق بها فصاحبها مخير بين التضمين وبين الرضا بالثواب أو الأجر على التصدق بها، وليس لملتقطها التصدق بها أو التصرف قبل الحول. وأجمعوا أن ضالة الغنم المخوف عليها، له أكلها.

وللعلماء آراء في الأفضل من ترك اللقطة أو أخذها، فقال المالكية: إن شاء أخذها وإن شاء تركها، ونقل عن مالك وأحمد كراهة الالتقاط، ودليلهم حديث أصحاب الكتب الستة عن زيد بن خالد الجهني في الشاة: ((هي لك أو لأخيك، أو للذئب)) ولا تلزم صاحبها بيّنة عندهم وعند الحنابلة، ويكفي بيان علاماتها، من وعاء ووكاء مثلاً.

وذهب الحنفية، والشافعية في الأصح إلى أنه يجوز الالتقاط، لحفظ اللقطة لصاحبها، صيانة لأموال الناس، ومنعاً من ضياعها ووقوعها في يد خائنة.

ولكن لا تدفع لصاحبها إلا إذا أقام البيّنة أنها له.

وأما تملك اللقطة بعد تعريفها سنة، فقال الحنفية: إذا كان الملتقط غنياً، لم يجز له أن ينتفع باللقطة، وإنما يتصدق بها على الفقراء، وإذا كان فقيراً فيجوز له الانتفاع بها بطريق التصدق، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البزار والدارقطني عن أبي هريرة: ((فليتصدق به)).

وقال الجمهور: يجوز للملتقط أن يملك اللقطة، وتكون كسائر أمواله، سواء أكان

غنياً أم فقيراً، فإن عرف صاحبها في المستقبل ضمنها له.

(٢) تنفيذ إخوة يوسف مؤامرتهم وتدليسهم الأمر على أبيهم

[سورة يوسف (١٢): الآيات ١١ إلى ١٨]

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ
 الذُّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ
 سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ
 لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
 (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا
 لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُجْعَلُوهُ فِي
 غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً
 يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَمَا أَنْتَ
 بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
 أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)

المناسبة:

الكلام مرتبط بما قبله، مبين مكيدة إخوة يوسف له، وخذاعهم أباهم، وإظهارهم
 أنهم في غاية المحبة ليوسف والشفقة عليه، وهم يعلمون أن أباهم كان يحب يوسف
 محبة شديدة، ويحرص عليه، ويجب تطيب قلبه، فأرسله معهم، وهو غير مقتنع
 بكلامهم ويخافهم عليه.

التفسير والبيان:

لما تواطأ إخوة يوسف على أخذه وطرحه في البئر، كما أشار به عليهم أخوهم يهوذا
 أو روبيل، جاءوا أباهم يعقوب عليه السلام، فقالوا: ما بالك لا تأمنا على يوسف،
 وتحافنا عليه، ونحن له ناصحون، أي نحبه، ونشفق عليه، ونريد الخير له، ونخلص له
 النصح؟ وهم يريدون خلاف ذلك، لحسد لهم، بعد ما علموا من رؤيا يوسف،
 وأدركوا حب أبيه له، لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة.

أرسله معنا، أي ابعثه معنا في الغد حين نخرج كعادتنا إلى المرعى في الصحراء، يرتع أي يأكل ما يطيب له من الفاكهة والبقول، ويلعب أي ويسعى وينشط ويشاركنا في السباق بالسهام، وإنا له لحافظون من أي أذى ومكروه يصيبه، ونحفظه من أجلك. فأجابهم يعقوب بقوله: إني ليحزنني ويؤلمني ذهابكم به وفراقه لي على أي نحو، وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم، فيأتيه ذئب، فيأكله وأنتم غافلون عنه لا تحسون به.

وبه يتبين أنه اعتذر إليهم بشيئين: أن فراقه إياه مما يحزنه، وخوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم أو لعبهم، لقلّة اهتمامهم به، وكأنه لفتنهم الحجة، وشدة الحذر دفعته لقول ذلك. فأجابوه في الحال: والله لئن أكله الذئب، ونحن جماعة أشداء ندافع عن الحرمات، لكننا خاسرين، أي هالكين عاجزين لا خير فينا ولا نفع.

ثم بدؤوا تنفيذ المؤامرة بالفعل، فلما ذهبوا به من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك، صمموا على مرادهم، وعزموا عزمًا لا تردد فيه على إلقائه في قعر بئر وأسفله، وهو البئر المعروف لديهم، ليذهب حيث شاء، أو يهلك، فيستريحوا منه.

ولكنّ الله تعالى ذا القدرة الشاملة، والإرادة النافذة، والرحمة واللطف، وإنزاله اليسر بعد العسر، والفرج بعد الكرب، أوحى إليه وحي إلهام على الأظهر، مثل قوله: **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [النحل ١٦ / ٦٨]** وقوله:

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ [القصص ٢٨ / ٧] تطمينا لقلبه وتثبيتًا له ألا تحزن مما أنت فيه، فإن لك فرجا ومخرجا، وسينصرك الله عليهم، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع السيء، وهم لا يعرفون ولا يشعرون بأنك يوسف. وهو وعد بالخلاص من هذه المحنة، والنصر عليهم، وصيرورتهم تحت سلطانه.

ثم جاء دور الاعتذار بالأعدار الكاذبة لأبيهم يعقوب عليه السلام، فحينما رجعوا إليه في آخر اليوم وقت العشاء في ظلمة الليل، أخذوا يتباكون ويظهرون الأسف والجزع على يوسف، وقالوا معتذرين عما زعموا: إنا ذهبنا نتسابق ونترامي بالنبال،

وتركنا يوسف عند ثيابنا وأمتعتنا، حارسا لها، فأكله الذئب، وهذا الذي كان قد جزع منه وحذر عليه، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا- والحالة هذه- لو كنا صادقين موثوقين عندك، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك؟! وأنت معذور في هذا لغرابة ما وقع، وعجيب ما حدث. والحاصل أنا وإن كنا صادقين، لكنك لا تصدقنا لأنك تتهمنا في يوسف، لشدة محبتك إياه، ولظنك أنا قد كذبنا.

وهذا إيحاء بعدم قناعتهم بما يقولون، وإحساسهم بالكذب ضمنا. وزاد في التلبس والتدليس أنهم جاؤوا بقميصه ملطّخا بدم مكذوب مفترى، أخذوه من دم سخلة ذبحوها، ولطخوا ثوب يوسف بدمها، موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب، لذا قال: عَلَى قَمِيصِهِ وَلَكِنْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَبْتِ إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ آثَارُ جَرِيمَتِهِمْ، فنسوا أن يخرقوا الثوب ويشقّوه إذ لو كان من افتراس الذئب لتمزق القميص، فلم يصدقهم يعقوب وأعرض عنهم وعن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه، فقال: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَيُّ بِلِّ زَيْنْتِ أَوْ سَهَلَتْ وَهَوْنَتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ السَّيِّئَةَ أَمْرًا مَنكَرًا غَيْرَ مَا تَصِفُونَ وَتَذَكُرُونَ، فسأصبر صبيرا جميلا على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه، وأستعين بالله حتى يفرج الكرب بعونه ولطفه، فالصبر الجميل أولى بي، والله المستعان على ما تذكرون من الكذب، وهو المعين على شر ما تصفون من الحدث الأليم.

فقه الحياة أو الأحكام:

أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

١- نجح إخوة يوسف في حبك المؤامرة، وخداع أبيهم، والمؤمن غر كريم، وتلك حيلة يلجأ إليها الأولاد عادة لأن لعب الصبيان المباح وتشيطهم مرغوب فيه، لا سيما وقد أظهروا شفقتهم عليه وحبهم له، وتعهدوا بحفظه ورعايته من المخاوف.

- ٢- كانت إجابة يعقوب لأولاده متضمنة بحكم العاطفة الأبوية المألوفة تحذيرا من التقصير، وتنبئها على شدة الصون والحفظ، وإشعارا بحب ابنه يوسف وعدم تحمله الصبر على فراقه، وهذا أمر طبيعي.
- ٣- مؤه إخوة يوسف على أبيهم الحقيقة، وأظهروا كاذبين أنهم حماة يصونون أخاهم، فهم عصابة أقوياء، وجماعة أشداء، يخشى الناس بأسهم، أفلا يقدرّون على مطاردة ذئب يهاجم أبا لهم.
- ٤- كان إخوة يوسف في أشد ما يكونون قسوة وشدة على أخ لهم من أبيهم، فرموه في البئر، ونزعوا عنه قميصه، ووجد عند كل واحد من الغيظ والحسد والظلم أشد ما عند الآخر.
- ٥- إن رحمة الله ولطفه قريب من المحسنين، فلا يدع سبحانه مظلوما حتى ينصره، ولا مفجوعا حتى يسلي قلبه ويطمئنه، ويشره بالسلامة، فألمهم يوسف أنه سينجو مما هو فيه، وأنه سينصره عليهم، وأنه سيخبرهم بسوء ما يصنعون به ويوبخهم على ما صنعوا، وسيكونون تحت قهره وسلطانه، وهم لا يدرون أنه يوسف.
- وهذا يدل على أن الوحي ليوسف بعد إلقائه في الجب كان تقوية لقلبه، وتبشيرا له بالسلامة.
- ٦- إنها جاؤوا عشاء، أي ليلا ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإن الحياء في العنين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار.
- ٧- ودلت آية يَبْكُونَ على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال أن يكون تصنعا، فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر، وقد قيل: إن الدم المصنوع لا يخفى.
- ٨- الاستباق مباح في السهام أو الرمي، وعلى الفرس، وعلى الأقدام والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العدو لها له من فائدة في قتال الأعداء، ومطاردة الذئاب. قال ابن العربي: إن المسابقة شرعة في الشريعة، وخصلة بديعة، وعون على الحرب، وقد فعلها النبي ﷺ بنفسه وبخيله

فروي أنه سابق عائشة فسبقها، فلما كبر رسول الله ﷺ سابقها فسبقته، فقال لها: هذه بتلك. وتسبق النبي أيضا مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسبقهما. وسابق سلمة بن الأكوع - فيما رواه مسلم - رجلا لما رجعا من ((ذي قرد)) إلى المدينة، فسبقه سلمة.

وروى مالك عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي قد أضمرت،^(١) وسابق بين الخيل التي لم تضمّر

، وأن عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها.

وكذلك المسابقة بالنّصال والإبل، أخرج النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((لا سبق^(٢) إلا في نصل أو خفّ أو حافر)).

وروى البخاري عن أنس قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال: ((حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)).

وأجمع المسلمون على أن السّبق على وجه الرهان المباح الآتي بيانه لا يجوز إلا في الخف والحافر والنصل. قال الشافعي: ما عدا هذه الثلاثة فالسّبق فيها قمار.

وقد زاد أبو البخترى القاضي في الحديث السابق: ((أو جناح)) لإرضاء الرشيد، فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته فلا يكتب العلماء حديثه بحال.

ولا يجوز السّبق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمد معلوم، وكذلك الرمي لا يجوز السّبق فيه إلا بغاية معلومة، ورشق معلوم، ونوع من الإصابة.

(١) تضمير الخيل: هو علف الخيل حتى تسمن، ثم لا تعلق إاقوتا لتخف.

(٢) السبق: ما يجعل للسابق على سبقه من المال، أي لا يحل أخذ المال بالمسابقة إلا في هذه الثلاثة. والسبق بالسكون: مصدر. والصحيح رواية الفتح.

والسبق الجائز اثنان: ما يخصصه الوالي أو غيره من ماله تطوعاً، وما يخرج منه أحد المتسابقين دون صاحبه، فإن سبقه صاحبه أخذه، وإلا بقي له.

والسبق غير الجائز أو الحرام: هو ما يكون من الطرفين المتسابقين، بأن يخرج كل واحد منهما شيئاً مثل ما يخرج صاحبه، فأيهما سبق أحرز سبقه وسبق صاحبه. ولا يجوز هذا الوجه إلا بمحلل لا يأمن أن يسبقهما، فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعاً وأخذهما وحده، وإن سبق أحد المتسابقين، أحرز سبقه وأخذ سبق صاحبه، ولا شيء للمحلل فيه، ولا شيء عليه. وإن سبق الثاني منهما الثالث كان كمن لم يسبق واحد منهما.

وسمي محللاً لأنه يحلل السبق للمتسابقين أو: له.

واتفق العلماء على أنه إن لم يكن بينهما محلل، واشترط كل واحد من المتسابقين أنه إن سبق أخذ سبقه وسبق صاحبه، أنه قمار، ولا يجوز.

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((من أدخل فرساً بين فرسين، وهو لا يأمن أن يسبق، فليس بقمار، ومن أدخله وهو يأمن أن يسبق فهو قمار)) وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب قال: ليس برهان الخيل بأس إذا دخل فيها محلل، فإن سبق أخذ السبق، وإن سبق لم يكن عليه شيء. وهذا قول الجمهور.

ولا يكون سباق الخيل والإبل إلا لمحتلم، أو لأربابها، وهو أولى.

٩- استفاد أولاد يعقوب الحجة من قول أبيهم: وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ لَأَنَّهُ كَانَ أَظْهَرَ الْمَخَافِ عَلَيْهِ.

١٠- لم يصدقهم يعقوب، لما ظهر له منهم من قوة التهمة وكثرة الأدلة على خلاف ما قالوه.

وأحسوا هم بضعف حججهم حينما قالوا: وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ أَيُّ وَلَوْ كُنَّا عِنْدَكَ مِنْ أَهْلِ الثِّقَةِ وَالصِّدْقِ مَا صَدَقْتَنَا، وَلَا تَتَّهَمُنَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَةِ لَشِدَّةِ مَحَبَّتِكَ لِيُوسُفَ.

١١- دلسوا على أبيهم بالدم المكذوب فيه، فهو دم ظيية، كما قال قتادة، ولما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم، قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها، وهي سلامة القميص من التمزيق المعتاد عند اعتداء الذئب على إنسان. قال ابن عباس: لما نظر إليه، قال: كذبتم لو كان الذئب أكله لخرق القميص.

حكى الماوردي أن في القميص - أي في جنسه - ثلاث آيات: حين جاؤوا عليه بدم كذب، وحين قد قميصه من دبر، وحين ألقى على وجه أبيه، فارتد بصيرا.

١٢- استدلل الفقهاء بقصة القميص الملوث بالدم على جواز الاعتماد على الأمارات، في مسائل فقهية كالقسامة وغيرها، وأجمعوا على أن يعقوب عليه السلام استدلل على كذبهم بصحة القميص وسلامته من التخرق. وهكذا على الناظر ملاحظة الأمارات والعلامات، ويقضي بالراجح منها.

١٣- الاعتصام بالصبر، والاستعانة بالله، على التزوير والظلم والكذب والمصيبة وفي المحنة والشدة، فذلك مؤذن بالفرج بعد الكرب، وباليسر بعد العسر، وهو دليل الإيذان بأن لهذا لكون ربا يفعل فيه ما يشاء.

١٤- الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى معه، وهو أن يعرف أن منزل البلاء هو الله تعالى، ثم يعلم أن الله سبحانه مالك الملك، ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في ملك نفسه.

ولا يكون الصبر جميلا ما لم يكن فيه رضا بقضاء الله وقدره.

والضابط في جميع الأفعال والأقوال والاعتقادات: أن كل ما كان لطلب عبودية الله تعالى، كان حسنا، وإلا فلا.

والجمع بين الصبر والاستعانة في كلام يعقوب دال على أن إقدامه على الصبر لا يمكن إلا بمعونة الله تعالى، للتغلب على الجزع أو الحزن بسبب الدواعي القوية إليه.

الفصل الثالث من قصة يوسف نجاة يوسف وإكرامه في بيت العزيز

(١) تعلق يوسف بالدلو ومسيره مع السيارة

[سورة يوسف (١٢): الآيات ١٩ إلى ٢٠]

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)
 المناسبة:

بعد أن بيّن الله تعالى ما فعله إخوة يوسف بإلقائه في أعماق الجب (البئر) ذكر هنا طريق
 خلاصه من تلك المحنة عن طريق قافلة تجار ذاهبة إلى مصر، فأخذوه وباعوه فيها.

التفسير والبيان:

ومرّ بالبئر جماعة مسافرون مارّون من مدين إلى مصر، روي أنهم من العرب
 الإسماعيليين، بعد أن مكث يوسف في البئر ثلاثة أيام، كان يتردد عليه بالطعام أخوه
 يهوذا، وذكر محمد بن إسحاق أن إخوته بعد إلقائه في الجب، جلسوا قريبا من تلك
 البئر، فساق الله له سيارة، فأرسلوا واردهم (وهو الذي يبحث عن الماء ليستقي القوم
 فلما جاء إلى البئر، وأدلى دلوه فيها، تشبّث يوسف عليه السلام بها، وخرج من البئر.
 فقال مبشرا جماعته السيارة: يا بشرى هذا غلام، أي هذه أوان البشرية فاحضري، هذا
 غلام وسيم جميل صبح ظريف، كما تقول: يا أسفا، ويا حسرتا. فاستبشروا به فهو غلام يباع.
 وأخفوه عن الناس، ليكون بضاعة لهم يتاجرون فيه ويبيعونه لأهل مصر، والله
 عليم بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أفعال هؤلاء وغيرهم، وعليم بما يفعله إخوة
 يوسف ومشروه، وهو قادر على تغيير الواقع ودفعه، ولكن له حكمة وقدر سابق،
 فترك الأمر ليمضي ما قدره وما قضاه: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 [الأعراف ٧ / ٥٤].

والبائع: إما إخوة يوسف، كما روي عن ابن عباس، والتجار هم الذين اشتروه والذين أسروهم بضاعة هم إخوة يوسف، لما استخرج من الحب. وإما أن البائع هم السيارة، والمشتري: واحد من أهل مصر.

وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ عما كان يلقاه من أذى قومه المشركين، وإعلام له بأن الله عالم بأذى قومك لك، فإنه قادر على تغيير الأذى، ولكن اصبر كما صبر يوسف على كيد إخوته وأذاهم، وسأنصرك عليهم، كما نصرت يوسف على إخوته، وجعلته سييدا عليهم.

وَشَرَوْهُ أَي باعه إخوة يوسف، قال ابن كثير: وهو الأقوى، أو باعته السيارة القافلة في مصر بثمن قليل ناقص عن ثمن المثل من الدراهم المعدودة عدا، لا وزنا، وكانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية (أربعين درهما) فما فوقها، فباعوه بعشرين أو باثنين وعشرين درهما، فالمراد بالبخس هنا الناقص أو المعيب أو كلاهما، أي باعوه بأنقص الأثمان. وقيل: المراد به الظلم أو الحرام، لكونه بيع حر، والراجع هو المعنى الأول، كما ذكر ابن كثير لأن الحرام معلوم يعرفه كل أحد لأن ثمنه حرام على كل حال، وعلى كل أحد لأنه نبي ابن نبي، ابن نبي، ابن خليل الرحمن، فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

وكانوا في يوسف وبيعه من الزاهدين أي الراغبين عنه الذين يودون التخلص منه بأي حال دون أن يعلموا منزلته عند الله تعالى. وقد اشتراه عزيز مصر رئيس الشرطة وصار فيما بعد مسلما آمن بيوسف ومات في حياته.

والخلاصة: أنه تعالى وصف ذلك الثمن بصفات ثلاث: كونه بخسا، وبدراهم

معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين.

فقه الحياة أو الأحكام:

يفهم من الآيات ما يأتي:

١- إن مجيء السيارة وإرسال الدلو في البئر تدبير خفي من الله، وتيسير ولطف بعبده يوسف، لإنقاذه من الموت أو الهلاك في البئر لأن الله عليم بكل شيء في هذا الكون، ومدبر ما يراه خيرا على وفق حكمته وإرادته.

٢- كان بيع يوسف بثمن ناقص عن ثمن المثل، بدراهم معدودة هي عشرون درهما كما قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما، فلم يستوف ثمنه الحقيقي بالقيمة لأن إخوته إن كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدون من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلوه وجه أبيهم عنه وإن كان الذين باعوه هم السيارة الواردة، فإنهم التقطوه، ومن أخذ شيئا بلا ثمن، باعه بأرخص الأسعار، فما يأخذونه فيه ربح كله.

٣- في الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير، ويكون البيع لازما.

٤- الله تعالى عليم بأفعال الخلائق وأقوالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها. وبمناسبة الكلام عن الدراهم، قال العلماء: أصل النقدين الوزن، لقوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: ((الذهب بالذهب الفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل، فمن زاد أو استزاد فهو ربا))

ولكن جرى في النقود العدّ تخفيفا عن الخلق، لكثرة المعاملة، ومشقة الوزن.

وهل تتعين الدراهم والدنانير أو لا؟ رأيان: قال أبو حنيفة، ومالك في الظاهر من قوله: لا تتعين بالتعيين. وقال الشافعي: إنها تتعين. وفائدة الخلاف تظهر فيما إذا قال: بعثك هذه الدنانير بهذه الدراهم، فعلى الرأي الأول:

تعلقت الدنانير بذمه صاحبها، والدراهم بذمه صاحبها، فلو تلفت، ظل البيع صحيحا ولم يتأثر بتلف شيء من العوضين لأن مال الذمة لا يتلف.

وعلى الرأي الثاني: لو تلفت الدراهم والدنانير، لم يتعلق بذمة صاحبها شيء، وبطل

العقد كبيع الأعيان من العروض وغيرها ﷺ.

ثانياً : العقيدة

الإيمان بالجنة والنار:

مسألة: اذكر الدليل على وجوب الإيمان بالجنة والنار؟

قال تعالى: (. فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبُ بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة - ٢٤، ٢٥]

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ))^(١).

مسألة: هل الجنة والنار موجودتان الآن؟

نعم الجنة والنار موجودتان الآن، والدليل قوله تعالى: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [سورة: آل عمران - الآية: ١٣٣]

وقال تعالى في النار (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [سورة: البقرة - الآية: ٢٤]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرَّضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين. (١)

أولاً الجنة دار السلام:

إنها دار خلود وبقاء. . . لا فيها بأس ولا شقاء، ولا أحزان ولا بكاء. . . لا تنقضي لذاتها ولا تنتهي مسراتها. . . كل ما فيها يذهل العقل ويسحر الفكر. . .

هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان

هي نور يتلألأ، وريحانة تهتز. وقصر مشيد ونهر مطرد. . . وفاكهة نضيجة. . . وزوجة حسناء جميلة. . . وحلل كثيرة في مقام أبداً، في حبرة ونضرة، في دور عالية سليمة بهية تتراءى لأهلها كما يترأى الكوكب الدرّي الغائر في الأفق.

نعيم الجنة لم يخطر على قلب بشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقرءوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: ١٧]. (٢)

قال ابن القيم رحمه الله: وكيف يقدر قدر دارٍ غرسها الله بيده وجعلها مقرأً لأحبابه و ملاًها من رحمته و كراماته و رضوانه و وصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص. (٣)

شبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَوْضِعُ سَوْطٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) (٤).

(١) حادي الأرواح (ص: ٣٦٤)

(٢) متفق عليه

(٣) حادي الأرواح (ص: ٢٨٠)

(٤) رواه البخاري

بل مجرد أن يرحل العبد عن النار ويدخل الجنة فهذا هو الفوز العظيم.

قال تعالى {فَمَنْ رُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: ١٨٥]

نعيم الجنة ينسي الإنسان كل بؤس الدنيا وهمومها

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يُوتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)).^(١)

- أشهر أسماء الجنة:

الجنة واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١ - الجنة: قال الله تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [النساء/١٣].

٢- جنات الفردوس: قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف/١٠٧].

٣ - جنة عدن: قال الله تعالى: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} [ص/٤٩ - ٥٠].

٤ - جنة الخلد: قال الله تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} [الفرقان/١٥].

٥ - جنات النعيم: قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨)} [لقمان/٨].

٦ - جنة المأوى: قال الله تعالى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة/١٩].

٧ - دار السلام: قال الله تعالى: {هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)} [الأنعام/١٢٧].

- سعة أبواب الجنة:

١ - عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصْرَاعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ مِنَ الرَّحَامِ. ^(١) (المصراعين من مصاريع الجنة) المصراعان جانباً الباب. ، (كظيظ) أي ممتلئ.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصْرَاعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى)). ^(٢)

- عدد أبواب الجنة:

هي جنة عالية غالية عظيمة ذات أبواب واسعة عظيمة تليق بسعتها وتدل على علو منزلتها وقدرها، وعدد أبوابها ثمانية:

١ - قال الله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)} [الزمر/٧٣].

٢ - وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ)). ^(٣)

٣ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)). ^(٤)

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم

- أبواب الجنة مفتحة لأهلها:

قال الله تعالى: { هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةً هُمْ
الْأَبْوَابُ (٥٠) } [ص/ ٤٩ - ٥٠].

- الأوقات التي تفتح فيها أبواب الجنة في الدنيا:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ
الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ،
فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا - ثلاثاً-)).^(١)

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتُ أَبْوَابُ
الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ)).^(٢)

- أول من يدخل الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ
الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ)).^(٣)

- أول أمة تدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ)).^(٤)

- أول زمرة يدخلون الجنة:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى
صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا
يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتَفَلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) متفق عليه.

المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأُلُوَّةُ (عود الطيب)، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ
وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ)).^(١)
- سن أهل الجنة:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ
أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً)).^(٢)
- صفة وجوه أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين/ ٢٢ - ٢٤].
٢ - وقال الله تعالى: {وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠)}
[الغاشية/ ٨ - ١٠].

٣ - وقال الله تعالى: {وُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ} [عبس/ ٣٨ -
٣٩]. مسفرة: أي مشرقة ومستنيرة

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ
الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً...)).^(٣)
- صفة استقبال أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر/ ٧٣].

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي (٢٥٤٥) وحسنه الألباني. جرداً مُرداً، قال السندي: الأول جمع أجرد: وهو من
لا شعر على جسده، والثاني جمع أمرد: وهو من لا شعر على ذقنه.

(٣) متفق عليه.

٢ - وقال الله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد/٢٣ - ٢٤].

- مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ))، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)).^(١)

مسألة: هل كل من حقق التوحيد يدخل الجنة بغير حساب؟

- من حقق التوحيد واتصف بالصفات الأربعة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بكونهم لا يتطيرون ولا يكتنون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب.

- **صفة أرض الجنة وبنائها:**

توجد على وجه هذه الأرض أبنية فخمة وقصور مشيدة ومساكن وغرف.. لكنها مهما علا قدرها وجمالها ومهما تطاول بانيها وعلوها.. لا تشبه ما في الجنة من مساكن وبنيات إلا في الاسم فقط

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله.. الجنة ما بناؤها؟ قال: ((لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَلَأَهَا الْمِسْكَ الْأَذْفَرُ، وَحَصَبًا وَهَا اللَّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْئَسُ، وَيُحَلِّدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبَلَى ثِيَابُهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ)).^(٢)

٢ - وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: ((... ثُمَّ أُدْخِلْتُ... وَإِذَا تَرَأَيْتُهَا الْمِسْكَ)).^(٣)

٣ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة؟ فقال: ((دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ، مِسْكَ خَالِصٌ)).^(٤)

(١) متفق عليه

(٢) أخرجه الترمذي والدارمي وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

قال العلماء: معناه أنها في البياض درمكة وفي الطيب مسك والدرمك هو الدقيق الحواري الخالص البياض.

- صفة خيام أهل الجنة:

- ١ - قال الله تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)} [الرحمن/ ٧٢].
- ٢ - وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجُوفَةٍ، طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)).^(١)

- سوق الجنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ، فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْتَوِي فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزِدُّونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ أَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ هُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا)).^(٢)

- قصور الجنة:

خلق الله عز وجل داخل مساكن وقصور الجنة ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين.
قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)} [التوبة/ ٧٢].

- تفاضل أهل الجنة في القصور:

- ١ - قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)} [الإنسان/ ٢٠].

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم.

٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفُقِّ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ))، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: ((بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)).^(١)

- صفة غرف أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨)} [العنكبوت/٥٨].

٢ - وقال الله تعالى: {لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)} [الزمر/٢٠].

٣ - وعن علي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونِهَا مِنْ ظُهُورِهَا)) فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ)).^(٢)

كيف تحصل على بيت في الجنة؟

١ - تبني مسجداً لله ولو بالقليل

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى - يَتَّبِعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)).^(٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)).^(٤)

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وحسنه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه ابن ماجه (٧٣٨) وصححه الألباني

٢- تحافظ على صلاة النوافل

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ)).^(١)

٣- الصبر عند فقد فلذات القلوب

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمْرَةَ فؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدُكَ وَاسْتِرْجَاعُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ)).^(٢)

٤- حسن أخلاقك وارك المراء وإياك والكذب ولو كنت تمزح

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَنَا زَعِيمٌ بَبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)).^(٣)

- صفة فرش أهل الجنة:

قال الله تعالى: {مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن/ ٥٤]. الإِسْتَبْرَقُ: هُوَ مَا غُلِظَ مِنَ الْحَرِيرِ

- صفة البسط والنمارق:

(١) رواه مسلم (٧٢٨)

(٢) رواه الترمذي وأحمد وحسنه الألباني

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠) وحسنه الألباني

١ - قال الله تعالى: {وَتَنَارِقُ مَصْفُوفَةً (١٥) وَزَرَائِبُ مَبْثُوثَةٌ} [الغاشية/١٥ - ١٦].
النهارق: الوسائد، الزرابي: البسط.

٢ - وقال الله تعالى: {مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقْرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن/٧٦].
الررفف الخضر العبقري: أي البسط والوسائد الجياد مختلفة الألوان والأشكال من الحرير وغيره
- أرائك الجنة:

وهي الأسرة عليها الكلل، أو الكراسي ذات الوسائد.

١ - قال الله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين/٢٢ - ٢٣].
٢ - وقال الله تعالى: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ} [يس/٥٥ - ٥٦].
- صفة سرر أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر/٤٧].

٢ - وقال الله تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣)} [الغاشية/١٣].

- صفة أواني أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مَحْلَدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨)} [الواقعة/١٧ - ١٨].

٢ - وقال الله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)} [الزخرف/٧١].

٣ - وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنْتَبِهَتْهَا وَمَا فِيهَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنْتَبِهَتْهَا وَمَا فِيهَا)).^(١)

- صفة حلي أهل الجنة ولباسهم:

١ - قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ مَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} {الحج/٢٣}.

٢ - وقال الله تعالى: {عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} {الإنسان/٢١}.

- أول من يكسى في الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((... وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ)).^(٢)

- صفة خدم أهل الجنة:

١ - وقال الله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا} {الإنسان/١٩}.

٢ - وقال الله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} {الطور/٢٤}.

- أول طعام يأكله أهل الجنة:

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقال: ((زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ)).^(٣)

- صفة طعام أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} {الرعد/٣٥}.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

٢ - وقال الله تعالى: {وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة/ ٢٠ - ٢١].
 ٣ - وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْفَلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ)) قالوا: فما بال الطعام؟ قال: ((جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ)).^(١)
- صفة شراب أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان: ٥].
 ٢ - وقال الله تعالى: {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتَمٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُعْرَبُونَ} [المطففين/ ٢٥ - ٢٨].
 ٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ)).^(٢)
- صفة أشجار الجنة وثمارها:

١ - قال الله تعالى: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا} [الإنسان/ ١٤].
 ٢ - وقال الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)} [المرسلات ٤١ - ٤٢].
 ٣ - وقال الله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [محمد/ ١٥].
 ٤ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ الْجَوَادِ أَوْ الْمَضْمَرِ السَّرِيعِ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا)).^(٣)

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما في الجنة شجرة إلا وسافها من ذهب)).^(١)
صفة أنهار الجنة: ١ - وقال الله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد/١٥].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب الدرّ المجوّف، قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه، أو طينه مسك أذفر)).^(٢)

- صفة عيون الجنة:

١ - وقال الله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان/٥ - ٦].

٢ - وقال الله تعالى: {فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠)}، {فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ (٦٦)} [الرحمن، ٥٠، ٦٦].

٣ - وقال الله تعالى: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} [الإنسان/١٧ - ١٨].

- صفة نساء أهل الجنة:

١ - قال الله تعالى: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)} [آل عمران/١٥].

٢ - وقال الله تعالى: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة/٣٥ - ٤٠].

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري. (أذفر) شديد الرائحة الذكية [

٣ - وقال الله تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)} [الصفات / ٤٨ - ٤٩].

٤ - وقال الله تعالى: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)} [الرحمن / ٧٠ - ٧٢].

٥ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((. . . وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)).^(١)

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((. . . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يَرَى مَخَّ سَوْقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّ)).^(٢)

- عطور وروائح الجنة:

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، وتفاوت منازلهم، ودرجاتهم.

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((. . . وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَجَمْرُهُمُ الْأَلْوَةُ - عُوْدُ الطَّيِّبِ -)).^(٣)

٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)).^(٤)

- غناء أزواج أهل الجنة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعَنِّينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِمَّا يُعَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ خَيْرُ الْحِسَانِ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ،

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه البخاري.

يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ. وَإِنَّ مِمَّا يُغْنِيَنَّ بِهِ: نَحْنُ الْحَالِدَاتُ فَلَا يَمُتُّنَهُ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا يَخْفُنَهُ، نَحْنُ الْمُقِيَّاتُ فَلَا يَطْعَنَنَّه)).^(١)

- **الولد في الجنة:** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعهُ وسنهُ في ساعة كما يشتهي)).^(٢)

- دوام نعيم أهل الجنة:

إذا دخل أهل الجنة الجنة تلقفتهم الملائكة، وبشرتهم بما في الجنة من النعيم والخلود بشرى لم يسمعوا بمثلها قط.

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْتَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا)) فذلك قوله عز وجل: {وَتُؤَدُّوا أَنْ تَلِكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.^(٣)

- درجات الجنة:

لقد خلق الله الجنة وأورثها عباده الصالحين وجعلهم فيها متفاضلين متفاوتين، ولذلك كانت الجنة درجات يفضل بعضها بعضاً، وكل ذلك كان فضلاً من ربك وعدلاً. . ليشمر ويثابر من اشتاقت نفسه إلى الجنة وَعَلَّتْ هِمَّتُهُ لِأَعْلَى دَرَجَاتِهَا، فِي ذَلِكَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ. قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) [طه: ٧٥].

- قال الله تعالى: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} (٢١) [الإسراء/ ٢١].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ))، أراه قال: ((وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)).^(١)

- أعلى منزلة في الجنة:

أعلى منزلة في الجنة هي الوسيلة. . وهي بإذن الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)).^(٢)

مسألة: لماذا سميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم بالوسيلة؟

سميت درجة النبي الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله.

قال ابن القيم رحمه الله: ولما كان رسول أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهي أعلى درجة في الجنة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان، وأيضا فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه.^(٣)

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) حادي الأرواح (ص: ٨٣)

- أعلى أهل الجنة منزلة، وأدناهم منزلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ؟. فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْحَامِسَةِ رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَيْتَ نَفْسَكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَحَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) قال: ومصادقه في كتاب الله عز وجل: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}.^(١)

وفي لفظ في بيان أدنى أهل الجنة: ((فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا)).^(٢)

- أعظم نعيم أهل الجنة:

يوم المزيد والنظر إلى وجه العزيز الحميد

قال ابن القيم رحمه الله: وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسبق إليها المتسابقون ومثلها فليعمل العاملون إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم.^(٣)

١ - قال الله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣)} [القيامة/ ٢٢ - ٢٣].

٢ - وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) حادي الأرواح (ص: ٢٨٥)

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ)).^(١)

- لقاء الرضوان:

قال تعالى {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ٧٢]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)).^(٢)

الجنة محجوبة بالمكاهة حتى لا تنالها الهمم الدنيئة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ)).^(٣)

مسألة: ما معنى حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُكَارِهِ؟

المُكَارِهِ: هي الأمور التي تكرهها النفس لمشقتها، فلا يصل إلى الجنة أحدٌ إلا إذا تجرَّع من غصص هذه المكاهة التي تحيط بها، فالطريق إليها ليس سهلاً، بل هو طريق وعرٌّ محفوف بالمتاعب والآلام والدموع والعرق والدم والتضحيات، وبذل كل ما في الوسع، ليس طريقاً مليئاً بالمتع والشهوات والنزوات، فمن أراد الجنة ونعيمها فليوطن نفسه لتحمل هذه المكاهة التي حُفَّت بها الجنة والتي ينبغي على من يريد الجنة أن يؤديها

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم (٢٨٢٢)

ويقوم بها خير قيام كالصبر على المحن والبلايا والمصائب، والصبر على الطاعات التي تشق على النفس كالجهاد في سبيل الله وغير ذلك. (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ...)) (٢)

الجنة غالية وليست رخيصة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ)) (٣)

ثمن الجنة:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه حادي الأرواح:

عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثنمها الذي طلبه منهم وعقد التبائع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم: قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: ١١١] فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا

بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد. (٤)

(١) فصل الخطاب (٢/ ٣١٧)

(٢) رواه الترمذي (٢٥٦٠) وصححه الألباني

(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٠) وصححه الألباني

(٤) حادي الأرواح (ص: ٨٤)

اللهم ارض عنا، وعن والدينا، وأهلينا، والمسلمين أجمعين، وأدخلنا برحمتك في جنات النعيم.

ثانيًا: صفة النار

- **النار:** هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمنافقين والعصاة في الآخرة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذب. ^(١)

قال تعالى {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة: ١٦٥]

عذاب النار ينسي الإنسان كل نعيم رآه في الدنيا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يُؤْتَى بِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ. . .)) ^(٢)

- أشهر أسماء النار:

النار واحدة في الذات، متعددة الصفات، ومن أشهر أسمائها:

١ - النار: قال الله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء/ ١٤].

٢ - جهنم: قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء/ ١٤٠].

٣ - الجحيم: قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة/ ١٠].

٤ - السعير: قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا} [الأحزاب/ ٦٤].

٥ - سقر: قال الله تعالى: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} [القمر/ ٤٨].

٦ - الحطمة: قال الله تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٦)} [الهمزة/ ٤ - ٦].

(١) المددش (ص: ٤٩١)

(٢) رواه مسلم (٢٨٠٧)

٧ - لظي: قال الله تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَأَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧)} [المعارج/١٥ - ١٧].

٨ - دار البوار: قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقِرَارُ (٢٩)} [إبراهيم/٢٨ - ٢٩].
- مكان النار:

١ - قال الله تعالى: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧)} [المطففين/٧].

وسجين مكان ضيق في الأرض السابعة، وفيها أرواح الكفار.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((. . . وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذُهِبَ بِهَا إِلَى بَابِ الْأَرْضِ يَقُولُ خَزَنَةُ الْأَرْضِ: مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَتَتْ مِنْ هَذِهِ، فَتَبْلُغُ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى)).^(١)

- خلود أهل النار:

الكفار والمشركون والمنافقون مخلدون في النار، وأما عصاة الموحدين فهم تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم.

١ - قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَّ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨)} [التوبة/٦٨].

٢ - وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء/٤٨].

- صفة وجوه أهل النار:

١ - قال الله تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)} [الزمر/٦٠].

(١) أخرجه الحاكم وابن حبان وصححه الألباني.

٢ - وقال الله تعالى: {وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)} [عبس/ ٤٠ - ٤٢].

٣ - وقال الله تعالى: {وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤)} [الغاشية/ ٢ - ٤].

- عدد أبواب النار:

قال الله تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)} [الحجر/ ٤٣ - ٤٤].

- أبواب النار مغلقة على أهلها:

قال الله تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)} [الهمزة/ ٨ - ٩].

- مجيء النار في عرصات القيامة:

١ - قال الله تعالى: {وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١)} [الشعراء/ ٩١].

٢ - وقال الله تعالى: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى (٢٣)} [الفجر/ ٢١ - ٢٣].

٣ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا)).^(١)

تخيل أخي المسلم هذا العدد الرهيب من الملائكة مع قوتهم وعظم خلقهم الذين وكلهم الله بجهنم يوم القيامة يجرونها. سل ربك العافية وأن ينجيك من النار ومن أهواها.

- ورود النار وأول من يعبر الصراط:

١ - قال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (٧٢)} [مريم/ ٧١ - ٧٢].

(١) أخرجه مسلم.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة. . . -
وفيه - فقال: ((وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ)).^(١)
- **قعر النار:**

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبةً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
(تَدْرُونَ مَا هَذَا؟) قال: قلنا الله ورسوله أعلم، قال: ((هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ
مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا)).^(٢)
- **عظم خلق أهل النار:**

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ضُرْسُ الْكَافِرِ أَوْ نَابُ الْكَافِرِ مِثْلُ
أُحْدٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ)).^(٣)
٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ لِلرَّايِبِ الْمُسْرِعِ)).^(٤)
- **قوة حرارة النار:**

١ - قال الله تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
كُلَّمَا حَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} [الإسراء / ٩٧ - ٩٨].
٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ
سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ)) قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: ((فَإِنَّهَا
فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا)).^(٥)

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

تأمل أيها المسلم فنار الدنيا تصهر الحديد وتجعله يجري في مجاري كالهاء، فما ظنك بنار فضلت عليها تسعة وستين ضعفا؟ اللهم سلم سلم.

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ، نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ)).^(١)

- وقود النار:

١ - قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) [التحریم/٦].

٢ - وقال الله تعالى: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (٢٤) [البقرة/٢٤].

٣ - وقال الله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} (٩٨) [الأنبياء/٩٨].

- دركات النار:

النار دركات بعضها أسفل من بعض، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار؛ لغلظ كفرهم، وتمكنهم من أذى المؤمنين كما قال سبحانه: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا} (١٤٥) [النساء/١٤٥].

- صفة ظل النار:

١ - قال الله تعالى: {وَأَصْحَابُ الشَّالِ مَا أَصْحَابُ الشَّالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ} [الواقعة/٤١ - ٤٣].

(١) متفق عليه.

٢ - وقال الله تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} [الزمر/ ١٦].

٣ - وقال الله تعالى: {انظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)} [المرسلات/ ٣٠ - ٣١].

- خزانة النار:

١ - قال الله تعالى: {سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحٍةٌ لِلْبَشْرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [المدثر/ ٢٦ - ٣١].

٢ - ومالك خازن النار، كما قال سبحانه: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ (٧٧)} [الزخرف/ ٧٧].

- بعث النار وعدد من ينجو منها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يقول الله تعالى: يَا آدَمُ، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يسيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). قالوا: يا رسول الله، وأين ذلك الواحد؟ قال: ((أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف)).^(١)

- كيفية دخول أهل النار:

١ - قال الله تعالى: {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء

(١) متفق عليه.

يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) { [الزمر / ٧١ - ٧٢].

٢ - وقال الله تعالى: {يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن / ٤١].
٣ - وقال الله تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦)} {الهمزة

٤ - وقال الله تعالى: {يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (١٤)} [الطور / ١٣ - ١٤].

٥ - وقال الله تعالى: {وَوَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ} [إبراهيم / ٤٩ - ٥٠].

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تَخْرُجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ: إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالْمَصُورِينَ)).^(١)

- أول من تسعر بهم النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ ، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ

(١) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأَتِ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)).^(١)

- أكثر أهل النار:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ ((أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ)) قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟، قَالَ: ((يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)).^(٢)

- أشد أهل النار عذاباً:

١ - قال الله تعالى: {الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦)} [ق/٢٤ - ٢٦].

٢ - وقال الله تعالى: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)}... [غافر/٤٥ - ٤٦].

٣ - وقال الله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل/٨٨].

٤ - وقال الله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ صَوِيْرًا (١٤٥)} [النساء/١٤٥].

(١) أخرجه مسلم.

(٢) متفق عليه.

٥- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ)).^(١)

٦- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامٌ ضَلَالَةً، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُتَمَثِّلِينَ)).^(٢)

- أهون أهل النار عذاباً:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ)).^(٣)

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال: ((لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْعَلُ فِي صَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمَّ دِمَاغِهِ)).^(٤)

- ما يقال لأهون أهل النار عذاباً:

١- قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ هُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)} [المائدة/ ٣٦].

٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي)).^(٥)

- سلاسل جهنم وأغلالها:

١- قال الله تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا} [الإنسان/ ٤].

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني وحسنه الألباني. ومُثَّلٌّ مِنَ الْمُتَمَثِّلِينَ: هو من يصور التماثيل.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

٢ - وقال الله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَافُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)} [غافر/ ٧٠ - ٧٢].

٣ - وقال الله تعالى: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)} [المزمل/ ١٢ - ١٣].

٤ - وقال الله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ (٣٤)} [الحاقة/ ٣٠ - ٣٤].

- صفة طعام أهل النار:

١ - قال الله تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامٌ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ} [الدخان/ ٤٣ - ٤٦].

٢ - وقال الله تعالى: {أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)} [الصافات/ ٦٢ - ٦٨].

٣ - وقال الله تعالى: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)} [الغاشية/ ٦ - ٧].

٤ - وقال الله تعالى: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} [الحاقة/ ٣٥ - ٣٧].

- صفة شراب أهل النار: ١ - قال الله تعالى: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)} [إبراهيم/ ١٥ - ١٧].

- ٢ - وقال الله تعالى: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)} [محمد/١٥].
- ٣ - وقال الله تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [الكهف/٢٩].
- ٤ - وقال الله تعالى: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا (٥٨)} [ص/٥٥ - ٥٨].

- صفة ثياب أهل النار:

- ١ - قال الله تعالى: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)} [الحج/١٩].
- ٢ - وقال الله تعالى: {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ} [إبراهيم/٤٩ - ٥٠].

- فرش أهل النار:

- قال الله تعالى: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)} [الأعراف/٤١].

- حسرة أهل النار:

- ١ - قال الله تعالى: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)} [البقرة/١٦٧].
- ٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء، ليزداد سُكْرًا، ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة)).^(١)

(١) أخرجه البخاري.

٣ - وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صَلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ)).^(١)

- كلام أهل النار:

١ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)} [الأعراف ٣٨ - ٣٩].

٢ - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥)} [العنكبوت / ٢٥].

٣ - وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَاذْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا} [الفرقان / ١٤].

صور من أصناف المعذبين في النار

١- الكفار والمنافقون:

قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [التوبة / ٦٨].

٢- قاتل النفس المعصومة عمدا:

١ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء / ٩٣].

(١) متفق عليه.

٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)).^(١)

٣- الزناة والزواني:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: ((هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟)) - وفيه - أنه قال ذات غداة: ((إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانٍ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ. . . فَأَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطْلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوءًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا مَا هُوَ لَآءٍ؟. . . - وفيه - فقَالَا: وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ فَهُمْ الزَّانَاةُ وَالزَّوَانِي. . .)).^(٢)

٤- أكلو الربا:

في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه السابق قال النبي ﷺ: ((فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا؟. . . قَالَ وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ آكَلُوا الرِّبَا)).^(٣)

٥- المصورون:

١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتَعْدُبُهُ فِي جَهَنَّمَ)).^(٤)

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه مسلم.

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرامٍ فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلّون وجهه وقال: ((يا عائشة أشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يَصَاهُون بِخَلْقِ اللَّهِ)) قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. (١)

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كَلَّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)). (٢)

٦ - أكل مال اليتيم:

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)} [النساء/ ١٠].

٧ - أهل الكذب والغيبة والنميمة:

١ - قال الله تعالى: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةٍ جَحِيمٍ} [الواقعة/ ٩٢ - ٩٤].

٢ - وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر - وفيه - فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ((ثَكَلْتِكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)). (٣)

٨ - الذين يكتمون ما أنزل الله:

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)} [البقرة/ ١٧٤].

- تخصم أهل النار:

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

حينما يرى الكفار ما أعد الله لهم من العذاب، ويعانون تلك الأهوال، يمقتون أنفسهم، ويمقتون أحبابهم وخالانهم في الدنيا، وتنقلب كل محبة بينهم إلى عداوة، وعند ذلك يخاصم أهل النار بعضهم بعضاً، ويحاج بعضهم بعضاً على اختلاف طبقاتهم.

١ - مخاصمة العابدين لعبودهم: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩)} [الشعراء/ ٩٦ - ٩٩].

٢ - مخاصمة الضعفاء للسادة المستكبرين: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨)} [غافر/ ٤٧ - ٤٨].

٣ - تخاصم الأتباع مع قادة الضلال: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاتُقُونَ (٣١) فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [الصافات/ ٢٧ - ٣٣].

٤ - تخاصم الكافر وقرينه الشيطان: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩)} [ق/ ٢٧ - ٢٩].

٥ - ويبلغ الأمر أشده عندما يخاصم الإنسان أعضاءه: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا الْجُلُودِ هُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)} [فصلت/ ١٩ - ٢١].

- طلب أهل النار من ربهم رؤية من أضلّوهم وتضعيف العذاب عليهم:

١ - قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُم تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)} [فصلت/ ٢٩].

٢ - وقال الله تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنَا كَبِيرًا (٦٨)} [الأحزاب/ ٦٦ - ٦٨].

- خطبة إبليس في أهل النار:

إذا قضى الله الأمر، وفصل بين العباد، خطب إبليس في أهل النار؛ ليزيد من كربهم وندامتهم وحسرتهم.

قال الله تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)} [إبراهيم/ ٢٢].

- جهنم وطلب المزيد:

١ - قال الله تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} [ق/ ٣٠].

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة)).^(١)

صور من أحوال أهل النار

(١) متفق عليه.

- قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ
بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)} [النساء/٥٦].

- وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا
يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦)} [الأحزاب/٦٤ - ٦٦].

- وقال الله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا
(٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)} [مريم/٦٨ - ٧٠].

- وقال الله تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابًا (٢٢) لَا يَتَّبِعُ فِيهَا
أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا
(٢٦)} [النبأ/٢١ - ٢٦].

- وقال الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا
سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)} [الملك/٦ - ٩].

- وقال الله تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ
(٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)} [الهمزة/٤ - ٩].

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يُجَاءُ
بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَيَتَدَلَّقُ أَقْتَابَهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ،
فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا سَأَأْتُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)).^(١)

- بكاء أهل النار وصراخهم وشهيقم وزفيرهم في النار:

١ - قال الله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ

(٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة/ ٨١ - ٨٢].

٢ - وقال الله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ

نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر/ ٣٧].

٣ - وقال الله تعالى: {هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)} [الأنبياء/ ١٠٠].

٤ - وقال الله تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا

تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)} [الفرقان/ ١٣ - ١٤].

- العذاب النفسي فضلا على العذاب الجسدي

إذا دخل أهل النار فيها وأصابهم العذاب الشديد استغاثوا ونادوا لعلهم يجدون من

يعيثنهم ويحييهم، فينادون أهل الجنة، وخزنة النار، ومالك خازن النار، وينادون ربهم،

فلا يجابون إلا بما يزيد حسرتهم، ثم يفقدون الأمل ويأخذون في الزفير والشهيق.

١ - قال الله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ

مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)} [الأعراف/ ٥٠].

٢ - وقال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحَقِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ

الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)} [غافر/ ٤٩ - ٥٠].

٣ - وقال الله تعالى: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ لِقَدْ

جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)} [الزخرف/ ٧٧ - ٧٨].

(١) متفق عليه.

٤ - وقال الله تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)} [المؤمنون/١٠٦ - ١٠٨].

٥ - فإذا فقد أهل النار الأمل في الخروج من النار ويسوا من أي خير أخذوا في الزفير والشهيق كما قال سبحانه: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧)} [هود/١٠٦ - ١٠٧].

عياداً بالله من غضب الله وسخطه وعقوبته، اللهم ارزقنا الجنة . . وأجرنا من النار . . أنت مولانا . . فنعم المولى . . ونعم النصير .

- خروج عصاة الموحدين من النار:

١ - عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُعَدَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا حُمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ، فَيُخْرَجُونَ وَيَطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ)) قال: ((فَيُرْسُ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْمَاءَ فَيَسْبُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْغُنَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)).^(١)

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بَرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً)).^(٢)

- خلود أهل الجنة والنار:

١ - وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ هُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا

(١) أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧) { [المائدة/ ٣٦ - ٣٧].

٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ)).^(١)

- أكثر أهل الجنة والنار:

الرجال في الجنة أكثر من النساء، والنساء في النار أكثر من الرجال، والحوار أكثر من الرجال في الجنة.

١ - عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءَ)).^(٢)
٢ - وعن عمران رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ)).^(٣)

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: ((أُرِيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرُونَ)) قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: ((يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)).^(٤)

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ... وَأَزْوَاجُهُمُ الْخُورُ الْعَيْنُ)).^(٥)

(١) متفق عليه

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

- حجاب الجنة والنار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ)).^(١)
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعَزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا)).^(٢)

- قرب الجنة والنار:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك)).^(٣)

- احتجاج الجنة والنار وحكم الله بينهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَهَلِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجْزُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمْتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أَعَذَّبُ بِكَ مَنْ أَسَاءَ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مَلُؤَهَا.)). متفق عليه.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٦٠) وصححه الألباني

(٣) أخرجه البخاري.

- اتقاء النار وطلب الجنة:

١ - قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)} [آل عمران/ ١٣١ - ١٣٢].

٢ - وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)).^(١)

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى)).
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: ((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)).^(٢)

- اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

والله رب العالمين

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ثالثاً: الفقه

كتاب الزكاة

ويشتمل على ما يلي:

- ١ - معنى الزكاة وحكمها وفضلها
- ٢ - زكاة النقدين
- ٣ - زكاة بهيمة الأنعام
- ٤ - زكاة الخراج من الأرض
- ٥ - زكاة عروض التجارة
- ٦ - زكاة الفطر
- ٧ - إخراج الزكاة
- ٨ - مصارف الزكاة
- ٩ - صدقة التطوع

١ - معنى الزكاة وحكمها وفضلها

أنواع الزكاة

الزكاة التي شرعها الله ثلاثة أنواع:

الأول: الزكاة الواجبة في الأموال، وتجب في أربعة أموال هي:

- ١ - الذهب والفضة، والأوراق المالية.
- ٢ - بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم).
- ٣ - الخراج من الأرض من حبوب وثمار ومعادن.
- ٤ - عروض التجارة.

الثاني: الزكاة الواجبة في الذمة

وهي زكاة الفطر التي تجب على كل مسلم في نهاية شهر رمضان.

الثالث: صدقة التطوع

وهي ما يخرجها المسلم إحساناً إلى غيره؛ طلباً لزيادة الأجر من الله. وتطلق الصدقة على الزكاة؛ لأنها تدل على صدق إيمان مُخْرِجها.

حكمة تنوع العبادات

شرع الله لعباده عبادات متنوعة، منها ما يتعلق بالبدن كالصلاة، ومنها ما يتعلق ببذل المال المحبوب إلى النفس كالزكاة، والصدقة، ومنها ما يتعلق بالبدن وبذل المال كالحج والجهاد، ومنها ما يتعلق بكف النفس عن محبوباتها وما تشتهيها، كالصيام، وَتَوَعَّعَ اللهُ العبادات ليختبر العباد، من يقدّم طاعة ربه على هوى نفسه، وليقوم كل واحد بما يسهل عليه ويناسبه منها.

شروط المال الذي ينفع صاحبه

المال لا ينفع صاحبه إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط: أن يكون حلالاً، وألا يشغل صاحبه عن طاعة الله ورسوله، وأن يؤدي حق الله فيه.

تعريف الزكاة

لغة: هي النماء والزيادة.

اصطلاحاً: هي التبعيد لله بإخراج حق واجب، في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت خاص.

وقت فرض الزكاة

فُرضت الزكاة في مكة، أما تقدير نصابها، وبيان الأموال التي تُزكى، وبيان مصارفها فكان في المدينة في السنة الثانية من الهجرة.

حكم الزكاة

الزكاة أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

١ - قال الله تعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) [التوبة/١٠٣].

٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ)).^(١)

حكمة مشروعية الزكاة

١ - ليس الهدف من أخذ الزكاة جمع المال وإنفاقه على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل الهدف الأول أن يعلو بالإنسان عن المال، ليكون سيّدا له لا عبدا له، ومن هنا جاءت الزكاة لتزكي المعطي والآخذ وتطهرهما.

٢ - الزكاة وإن كانت في ظاهرها نقص من كمية المال لكن آثارها زيادة المال بركة، وزيادة المال كمية، وزيادة الإيمان في قلب صاحبها، وزيادة في خلقه الكريم، فهي بذل وعطاء، وبذل محبوب إلى النفس من أجل محبوب أعلى منه، وهو إرضاء ربه سبحانه، والفوز بجزائه.

من يملك المال

نظام المال في الإسلام يقوم على أساس الاعتراف بأن الله وحده هو المالك الأصيل للمال، وله سبحانه وحده الحق في تنظيم قضية التملك، وإيجاب الحقوق في المال، وتحديدتها وتقديرها، وبيان مصارفها، وطرق اكتسابها، وطرق إنفاقها.

٣ - الزكاة تكفر الخطايا، وهي سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار.

٤ - شرع الله الزكاة وحث على أدائها لما فيها من تطهير النفس من رذيلة الشح والبخل، وهي جسر قوي يربط بين الأغنياء والفقراء، فتصفو النفوس، وتطيب القلوب، وتنشرح الصدور، وينعم الجميع بالأمن، والمحبة، والأخوة.

٥ - والزكاة تزيد في حسنات مؤدّيها، وتقي المال من الآفات، وتثمره، وتنميّه وتزيده، وتسد حاجة الفقراء والمساكين، وتمنع الجرائم المالية كالسرقات، والنهب، والسطو.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨)، ومسلم برقم (١٦) واللفظ له.

مقادير الزكاة

جعل الله قدر الزكاة على حسب التعب في المال الذي تُخرج منه:

- ١ - فأوجب في الركاز وهو ما وجد من دفن الجاهلية بلا تعب (الخمس) = ٢٠٪.
- ٢ - وما فيه التعب من طرفين (البذر والسقي) وهو ما سُقي بمؤنة (ربع الخمس) أي نصف العشر = ٥٪.
- ٣ - وفيما يكثر فيه التعب والتقلب طول العام، كالنقود، وعروض التجارة (ثمن الخمس) أي ربع العشر = ٢.٥٪.

فضل أداء الزكاة

- ١ - قال الله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة/ ٢٧٧]).
- ٢ - وقال الله تعالى: ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة/ ٢٧٤]).

شروط الزكاة

- ١ - تجب الزكاة في مال الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والمعتوه والمجنون إذا كان المال مستقرا، وبلغ نصابا، وحال عليه الحول، وكان المالك مسلما، حرا.
- ٢ - الكافر لا تجب عليه الزكاة وكذا سائر العبادات، لكنه يحاسب عليها يوم القيامة، أما في الدنيا فلا يلزم بها، ولا تُقبل منه حتى يسلم؛ لأنها عبادة.

ما لا يشترط له الحول

الخارج من الأرض، ونتاج السائمة، وربح التجارة تجب فيها الزكاة إذا بلغت النصاب ولا يشترط لها تمام الحول، أما الركاز فتجب الزكاة في قليله وكثيره، ولا يشترط له نصاب ولا حول.

نتاج السائمة، وربح التجارة حولها حول أصلها إن كان نصابا.

حكم زكاة الوقف

الأوقاف التي على جهات خيرية عامة كالمساجد، والمدارس، والربط ونحوها ليس فيها زكاة، وكل ما أُعد للإنفاق في وجوه البر العامة فهو كالوقف، لا زكاة فيه، وتجب الزكاة في الوقف على معين كأولاده مثلاً.

هل تجب الزكاة على من عليه دين؟

الزكاة واجبة مطلقاً ولو كان المزكّي عليه دين ينقص النصاب، إلا دينا وجب قبل حلول الزكاة فيجب أدائه ثم يزكي ما بقي بعده، وبذلك تبرأ الذمة.

الأموال التي تخرج منها الزكاة

تجب الزكاة في عين المال، الحب من الحب، والشاة من الغنم، والنقود من النقود وهكذا، ولا يعدل عن ذلك إلا الحاجة ومصلحة.

الأموال التي لا تجب فيها الزكاة

ما أُعد من الأموال للقنية والاستعمال فلا زكاة فيه كدور السكنى، والثياب، وأثاث المنزل، والدواب، والسيارات ونحوها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ)).^(١) إذا اجتمع عند الإنسان نقود تبلغ النصاب، وحال عليها الحول، ففيها الزكاة سواء أَعَدَّهَا لِلنَّفَقَةِ، أَوْ الزَّوْجِ، أَوْ شَرَاءِ عَقَارٍ، أَوْ لِقَضَاءِ دَيْنٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. إذا مات من عليه الزكاة ولم يخرجها أخرجها الوارث من التركة قبل الوصية وقسمة التركة. إذا نقص النصاب في بعض الحول، أو باعه لا فراراً من الزكاة انقطع الحول، وإن أبدله بجنسه بنى على حوله.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٣)، ومسلم برقم (٩٨٢) واللفظ له.

إذا مات المسلم وعليه زكاة ودين وخلف مالا لا يفي بهما أخرج الزكاة؛ لأن الزكاة حق الله التي أوجبها لأهل الزكاة، والله أحق بالوفاء.

٢- زكاة النقدين حكم زكاة الذهب والفضة

تجب الزكاة في الذهب والفضة، سواء كانت نقوداً، أو سبائك، أو حلياً، أو تبراً^(١)، إذا بلغت النصاب، وحال عليها الحول.

١ - قال الله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)) [التوبة/ ٣٤ - ٣٥].

٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسِ أَوْاقٍ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ)).^(٢)

مقدار نصاب الذهب

يجب في الذهب إذا بلغ عشرين ديناراً فأكثر ربع العشر.

الدينار يساوي من الذهب مثقالاً، والمثقال يزن بالميزان المعاصر (٤. ٢٥) غرام.

عشرون ديناراً تساوي بالوزن (٨٥) جراماً من الذهب.

٢٠ × ٢٥ = ٤ ، ٨٥ = جراماً من الذهب، هي أقل نصاب الذهب.

مقدار نصاب الفضة

يجب في الفضة إذا بلغت بالعدد (مائتي درهم فأكثر) أو بالوزن (خمس أواق فأكثر) ربع العشر.

مائتي درهم تساوي بالوزن (٥٩٥) جراماً.

(١) التبر: الذهب. وقال قوم: هو الذهب المستخرج من المعادن قبل أن يصاغ. وقال قوم: بل الذهب كله تبر. جمهرة اللغة (١/ ٢٥٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٧٩).

تصنيع الذهب والفضة له ثلاث حالات:

- ١ - إن كان القصد من التصنيع التجارة ففيه زكاة عروض التجارة ربع العشر؛ لأنه صار سلعة تجارية فيقوم بنقد بلده ثم يزكى.
- ٢ - وإن كان القصد من التصنيع اتخاذه تحفاً كالأواني من سكاكين وملاعق وأباريق ونحوها فهذا محرم، لكن تجب فيه الزكاة إذا بلغ نصاباً ربع العشر.
- ٣ - وإن كان القصد من التصنيع الاستعمال المباح، أو الإعارة ففيه ربع العشر إذا بلغ نصاباً، وحال عليه الحول.

زكاة الأوراق المالية

الأوراق المالية الحالية كالريال والدولار ونحوها حكمها حكم الذهب والفضة، فتقوم على أساس القيمة، فإذا بلغت نصاب أحد التقدين وجبت فيها الزكاة، ومقدارها ربع العشر إذا حال عليها الحول.

كيفية إخراج نصاب الأوراق المالية

تقوم بنصاب أحد التقدين، فإذا كان أقل نصاب الذهب (٨٥) جراماً.

إخراج مقدار زكاة الأوراق المالية عدة طرق

١ - يُقسم المال على (٤٠) فيخرج ربع العشر، وهو الواجب في زكاة التقدين وما يلحق بهما، فمثلاً: لو كان عنده ثمانون ألفاً ($٨٠٠٠٠ / ٤٠ = ٢٠٠٠$) هي مقدار زكاة ذلك المبلغ، وهي ربع العشر وهكذا.

٢ - أو نقسم المال على (١٠) والنتيجة يُقسم على (٤) والحاصل هو مقدار الزكاة الواجبة، فلو كان المال ($١٠٠٠٠٠ / ١٠ = ١٠٠٠٠$)، ثم نقسم: ($١٠٠٠٠ / ٤ = ٢٥٠٠$) هو مقدار الزكاة الواجبة، وهي ربع العشر وهكذا.

حكم زكاة الحلبي المعد للاستعمال

يباح للنساء لبس ما جرت عادتهن بلبسه من غير إسراف ذهباً كان أو فضة، وعليهن زكاته كل عام إذا بلغ نصاباً وحال عليه الحول، ومن جهل الحكم يلزمه إخراج الزكاة

من حين عَلم، وما مضى من الأعوام قبل العلم فليس فيه زكاة؛ لأن الأحكام الشرعية إنما تلزم بعد العلم بها.

حكم زكاة الألبان واللؤلؤ

الألبان واللؤلؤ والأحجار الثمينة ونحوها إذا كانت لللبس لا زكاة فيها، أما إذا كانت للتجارة فتقوم قيمتها بنصاب أحد التقدين، فإن بلغت نصاباً وحال عليه الحول ففيها ربع العشر. لا يضم الذهب إلى الفضة في تكميل النصاب، وتضم قيمة العروض إلى كل منهما.

٣- زكاة بهيمة الأنعام

بهيمة الأنعام هي (الإبل، والبقر، والغنم).

حكم زكاة بهيمة الأنعام

زكاة بهيمة الأنعام لها حالتان:

١ - تجب الزكاة في الإبل والبقر والغنم إذا كانت سائمة ترعى الحول أو أكثره في الصحاري والقفار المباحة.

فإذا بلغت النصاب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة سواء كانت للدر، أو النسل، أو التسمين، ويُخرج من كل جنس بحسبه.

ولا يؤخذ في الزكاة خيار أموال الناس ولا شرارها، بل يؤخذ أوسطها.

٢ - وإذا كانت الإبل، أو البقر، أو الغنم، أو غيرها من الحيوانات والطيور يعلفها أو يطعمها صاحبها من بستانه، أو يشتري لها، أو يجمع لها ما تأكله فهذه إن كانت للتجارة وحال عليها الحول تُقوم قيمتها، فإن بلغت نصاباً ففيها ربع العشر، وإن لم تكن للتجارة كما لو اتخذها للدر والنسل وعلفها فلا زكاة فيها.

نصاب بهيمة الأنعام

أقل نصاب الغنم (٤٠) شاة، وأقل نصاب البقر (٣٠) بقرة، وأقل نصاب الإبل (٥) من الإبل.

١ - عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين:

بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعط: (في أربع وعشرين من الإبل فما دونها، من الغنم، من كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت - يعني - ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة، إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة.

وفي صدقة الغنم: في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة، فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان، فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها. (١)

٢ - وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْيَمَنِ أَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْبَقَرِ مِنْ كُلِّ ثَلَاثِينَ تَبِيعًا أَوْ تَبِيعَةً وَمِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ مِئِنَّةً. (٢)

١ - أنصبة الغنم

من . . . إلى . . . مقدار الزكاة

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٥٤).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٥٧٦)، وهذا لفظه، والترمذي برقم (٦٢٣).

٤٠ ١٢٠... شاة

١٢١ ٢٠٠... شاتان

٢٠١ ٣٩٩... ثلاث شياه

ثم في كل مائة: شاة، ففي (٣٩٩) ثلاث شياه، وفي (٤٠٠) أربع شياه، وفي (٤٩٩) أربع شياه وهكذا.

٢- أنصبة البقر

من... إلى... مقدار الزكاة

٣٠ ٣٩... تبيع أو تبيعة، وهو ما له سنة

٤٠ ٥٩... مسنة من البقر، وهي ما لها سنتان

٦٠ ٦٩... تبيعان أو تبيعتان

ثم في كل (٣٠): تبيع أو تبيعة، وفي كل (٤٠): مسنة، ففي (٥٠): مسنة، وفي (٧٠): تبيع ومسنة وفي (١٠٠): تبيعان ومسنة، وفي (١٢٠): أربع تبيعات، أو ثلاث مسنات وهكذا.

٣- أنصبة الإبل

من... إلى... مقدار الزكاة

٥ ٩... شاة

١٠ ١٤... شاتان

١٥ ١٩... ثلاث شياه

٢٠ ٢٤... أربع شياه

٢٥ ٣٥... بنت مخاض من الإبل، وهي ما لها سنة

٣٦ ٤٥... بنت لبون، وهي ما لها سنتان

٤٦ ٦٠... حقة، وهي ما لها ثلاث سنين

٦١ ٧٥... جذعة، وهي ما لها أربع سنين

٧٦ ٩٠... بنتا لبون

٩١ ١٢٠... حقتان

فإذا زادت عن (١٢٠) فالواجب في كل (٤٠): بنت لبون، وفي كل (٥٠): حقة، ففي (١٢١) ثلاث بنات لبون، وفي (١٣٠): حقة وبنتا لبون، وفي (١٥٠): ثلاث حقائق، وفي (١٦٠): أربع بنات لبون، وفي (١٨٠): حقتان وبنتا لبون، وفي (٢٠٠): خمس بنات لبون، أو أربع حقائق وهكذا.

من وجبت عليه بنت لبون وعَدَمَهَا فله أن يُخرج بنت مخاض ويدفع جبراناً، والجبران: (شاتان أو عشرون درهماً)، أو يدفع حقة ويأخذ الجبران، والجبران خاص في الإبل فقط.

ما يؤخذ في زكاة بهيمة الأنعام

١ - يؤخذ في زكاة الغنم الجذع من الضأن، وهو ما له ستة أشهر، أو الشية من المعز، وهي ما لها سنة.

٢ - لا يؤخذ في الزكاة إلا الأنثى، ولا يجزئ الذكر إلا في زكاة البقر، وابن اللبون أو الحِقْ أو الجذع مكان بنت مخاض من الإبل، أو إذا كان النصاب كله ذكوراً.

حكم الجمع والتفريق خشية الصدقة

لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة في بهيمة الأنعام، فمن كان عنده أربعون شاة لا يجوز له أن يفرقها في مكانين فإذا جاء العامل لم يجد النصاب، أو يكون عنده أربعون شاة، وعند الآخر مثلها، وعند الثالث مثلها، فيجمعونها حتى لا يؤخذ منهم إلا شاة، ولو فرّقوها لوجب عليهم ثلاث شياه، فهذا كله من الحيلة التي لا تجوز. لا يأخذ الساعي كرائم الأموال، فلا يأخذ الحامل ولا الفحل ولا التي تربي ولدها ولا السمينة المعدة للأكل، وإنما يأخذ من الوسط وهكذا في بقية الأصناف.

٤- زكاة الخارج من الأرض

أنواع الخارج من الأرض:

الخارج من الأرض: الحبوب، والثمار، والمعادن، والركاز ونحوها.

حكم زكاة الحبوب والثمار

تجب الزكاة في الحبوب كلها، وفي كل ثمر يكال ويُدخَّر كتمر وزبيب.

١ - قال الله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)). [..] [الأنعام/ ١٤١].

٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((لَيْسَ فِيهَا دُونَ خُمْسٍ أَوْاقٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ خُمْسٍ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا دُونَ خُمْسٍ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ)). (١)

شروط زكاة الحبوب والثمار

يشترط أن يكون الخارج من الأرض مملوكاً له وقت وجوب الزكاة، ويلوغ النصاب، ومقداره (خمسة أوسق)، وهي ثلاثمائة صاع نبوي، أي ما يعادل (٦١٢) كيلو جراماً من البر تقريباً. الصاع النبوي بالوزن يساوي (٤٠.٢) كيلو جراماً من البر تقريباً، فالإناء الذي يتسع لهذا يعادل الصاع النبوي، وهو ما يعادل أربعة أمداد متوسطة.

تُضم ثمرة العام الواحد في تكميل النصاب إذا كانت جنساً واحداً كأنواع التمر مثلاً.

الواجب في زكاة الحبوب والثمار

١ - العشر = ١٠٪، فيما سقي بلا مؤنة كالذي يشرب من مياه الأمطار، أو العيون ونحوها.

٢ - نصف العشر = ٥٪، فيما سقي بمؤنة كميّاه الآبار التي تخرج بالآلات أو غيرها.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((فِيهَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعَشْرُ، وَمَا سَقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعَشْرِ)). (٢)

٣ - ثلاثة أرباع العشر = ٧.٥٪، لما سقي بهما معاً، بقاء الآبار تارة، وتسقيه الأمطار تارة.

وقت وجوب الزكاة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٧٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٤٨٣).

وقت وجوب الزكاة في الحبوب والثمار إذا اشتد الحب، وبدأ صلاح الثمرة، وصلاح الثمر: أن يَحْمَرَ أو يَصْفَرَ، فإذا باعه صاحبه بعد ذلك فزكاته عليه لا على المشتري. إذا تلفت الحبوب والثمار بغير تعد ولا تفريط من المالك سقطت الزكاة الواجبة فيها. لا زكاة في الخضروات والفواكه إلا إذا أعدت للتجارة، فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا حال عليها الحول، وبلغت النصاب.

حكم زكاة البساتين المؤجرة:

تجب الزكاة العشر أو نصف العشر على مستأجر الأرض أو البستان دون مالكةا في جميع ما يخرج منها من مكيل ومدخر من الحبوب والثمار، أو غيرها، وعلى المؤجر زكاة ما أخذ من أجرتها من النقود إذا كان نصاباً، وحال عليه الحول من تاريخ عقد الإجارة.

حكم زكاة ما يخرج من البحر:

كل ما يخرج من البحر كاللؤلؤ، والمرجان، والأسماك ونحو ذلك لا زكاة فيه، فإن كان للتجارة فيخرج من قيمته ربع العشر إذا بلغ نصاباً، وحال عليه الحول.

مقدار زكاة المعادن:

كل خارج من الأرض غير النبات من المعادن ونحوها فزكاته إذا بلغ نصاب أحد النقدين ربع عشر قيمته، أو ربع عشر عينه إن كان أثماً كالنقدين. ويجب إخراج زكاة المعادن ربع العشر من حين الحصول عليها إذا بلغت النصاب؛ لأنها مال مستفاد لا يعتبر له الحول.

مقدار زكاة الركاز:

الركاز: هو ما وُجد من دفن الجاهلية، والواجب فيه الخمس، قلّ أو كثر، ولا يشترط له نصاب ولا حول كما تقدم، ويصرف مصرف الفيء، والباقي أربعة أخماس لو وجد.

٥- زكاة عروض التجارة

- عروض التجارة: هي ما أُعد لبيع وشراء لأجل الربح من عقار، وحيوان، وطعام، وشراب، وآلات ونحوها.

حكم زكاة عروض التجارة:

عروض التجارة إذا كانت للتجارة، وبلغت نصاباً، وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة، وتقوّم عند الحول بالأحظ لأهل الزكاة ذهباً أو فضة، ويخرج ربع العشر من كامل القيمة، أو من العروض نفسها.

أحوال الأموال:

١ - البيوت، والعقارات، والسيارات، والآلات ونحوها إذا كانت معدة للسكنى أو الاستعمال لا للتجارة فلا زكاة فيها.

٢ - وإن كانت معدة للأجار فالزكاة على الأجرة من حين العقد إذا بلغت نصاباً، وحال عليها الحول قبل أن يُنفقها.

٣ - وإن كانت معدة للتجارة وجبت الزكاة في قيمتها ربع العشر إذا بلغت نصاباً، وحال عليها الحول.

- آلات المزارع والمصانع والمتاجر ونحوها لا زكاة في قيمتها؛ لأنها لم تعد للبيع، بل أعدت للاستعمال.

إخراج زكاة الأسهم في الشركات:

١ - الشركات الزراعية: إن كان استثمارها في الحبوب والثمار ونحوهما مما يكال ويُدخّر ففيها زكاة الحبوب والثمار بشروطها، وإن كان في بهيمة الأنعام ففيها زكاة بهيمة الأنعام بشروطها، وإن كان لها مال سائل ففيه زكاة النقود ربع العشر بشروطها.

٢ - الشركات الصناعية: مثل شركات الأدوية والكهرباء والإسمنت والحديد ونحوها فهذه تجب الزكاة في صافي أرباحها ربع العشر إذا بلغت نصاباً وحال عليها الحول قياساً على العقارات المعدة للكراء.

٣ - الشركات التجارية: كالاستيراد والتصدير والبيع والشراء والمضاربات والتحويلات المالية ونحو ذلك مما يجوز التعامل به شرعاً، فهذه تجب فيها زكاة عروض التجارة في رأس المال وصافي الأرباح ربع العشر إذا بلغت النصاب، وحال عليها الحول.

زكاة الأسهم لها حالتان:

- ١ - إن كان صاحبها قصده الاستمرار في التملك وأخذ عائدها السنوي ففيها الزكاة على الأرباح فقط ربع العشر كما سبق.
- ٢ - وإن كان قصده المتاجرة فيها بيعاً وشراءً يبيع هذا ويشتري هذا طلباً للربح فالزكاة واجبة في جميع ما يملك من أسهم وأرباحها، وزكاتها زكاة عروض التجارة ربع العشر، والمعتبر عند إخراج الزكاة قيمتها السوقية وقت وجوبها كالسندات.

حكم زكاة الأموال المحرمة:

الأموال المحرمة قسماً:

- ١ - إن كان الهال حراماً بأصله كالخمر والخنزير ونحوهما فهذا لا يجوز تملكه، وليس مالاً زكويًا، فيجب إتلافه والتخلص منه.
- ٢ - وإن كان الهال حراماً بوصفه لا بذاته لكنه مأخوذ بغير حق ولا عقد كالمغصوب والمسروق، أو مقبوض بعقد فاسد كالربا والقمار فهذا النوع له حالتان:
- ١ - إن عرف أهله رده عليهم، وهم يُخرجون زكاته بعد قبضه لعام واحد.
- ٢ - وإن جهل أهله تصدق به عنهم، فإن ظهر وأجازوا، وإلا ضمنه لهم، وإن أبقاه في يده فهو آثم، وعليه زكاته.

٦- زكاة الفطر

- زكاة الفطر: هي الصدقة التي تجب على المسلم بالفطر من رمضان.

- حكمة مشروعية زكاة الفطر:

شرع الله زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين ليستغنوا بها عن السؤال يوم العيد، ويشتروا مع الأغنياء في فرحة العيد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ آدَاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ آدَاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ. (١)

حكم زكاة الفطر:

زكاة الفطر واجبة على كل مسلم، ذكراً كان أو أنثى، حراً أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، مَلَكٌ صَاعاً من طعام، فاضلاً عن قوته وقوت مَنْ تلزمه نفقته من المسلمين، ويستحب إخراجها عن الجنين.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ أَقِطٍ أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ. (٢)

وقت وجوب زكاة الفطر:

تجب زكاة الفطر بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان على كل شخص بنفسه، وإذا أخرجها الأب عن أسرته أو غيرهم بإذنهم ورضاهم جاز، وهو مأجور.

وقت إخراج زكاة الفطر:

يبدأ الوقت من غروب الشمس ليلة عيد الفطر إلى ما قبل صلاة العيد، والأفضل: إخراجها يوم العيد قبل صلاة العيد.

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين.

ومن آداها بعد صلاة العيد فهي صدقة من الصدقات ويأثم إلا إن كان معذوراً، وإن أخرها عن يوم العيد من غير عذر فهو آثم، وإن كان معذوراً قضاها ولا إثم عليه.

مقدار زكاة الفطر:

(١) حسن / أخرجه أبو داود برقم (١٦٠٩)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٨٢٧).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (١٥٠٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٨٥).

يجوز إخراج زكاة الفطر من كل ما كان قوتاً لأهل البلد كالبر، والشعير، والتمر، والزبيب، والأقط، والأرز، والذرة وغيرها، وأفضلها ما كان أنفع للفقير. ومقدارها عن كل شخص صاع يساوي بالوزن (٢. ٤٠) كيلو جراماً، يعطيه فقراء البلد الذي وجبت عليه فيه، ولا يجوز إخراج القيمة بدل الطعام، والفقراء والمساكين أخص بها من غيرهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ. ^(١)

٧- إخراج الزكاة

أنواع أموال الزكاة:

الأموال التي تجب فيها الزكاة نوعان:

الأول: ما هو نام في نفسه كالحبوب والثمار، أو غير نام كالمعادن.

فهذه تجب الزكاة فيها عند الحصول عليها إذا بلغت النصاب، ولا يشترط لها حول.

الثاني: ما يُرصد للنماء والتجارة كالذهب والفضة، والأوراق النقدية، والمواشي، وعروض التجارة ونحوها.

فهذه تُخرج زكاتها إذا بلغت النصاب، وحال عليها الحول.

آداب إخراج الزكاة:

إخراجها وقت وجوبها، وأن يخرجها طيبة بها نفسه، وأن يتصدق من أطيب ماله وأجوده، وأحبه إليه، وأقربه من الحلال، وأن يُرضي المُصَدِّق، وأن يستصغر عطيته؛

^(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥٠٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٨٤) (٩٨٦).

ليسلم من العُجب، وأن يُخفيها؛ ليسلم من الرياء، ويظهرها أحياناً؛ إحياء لهذا الواجب، وترغيباً للأغنياء للاقتداء به، وآلاً يبطلها بالمن والأذى.

أفضل أهل الزكاة:

الأفضل أن يتبغى المزكي لصدقته الأتقى، والأقرب، والأحوج، ويطلب لصدقته من تزكو به الصدقة من الأقارب، والأتقياء، وطلبة العلم، والفقراء المتعفين، والأسر الكبيرة المحتاجة ونحوهم، وإخراج ما عنده من زكاة أو صدقة ونحوهما قبل حصول الموانع، وكلما كثرت صفات الاستحقاق في

شخص كان أحق بالزكاة، كفقير قريب، وفقير طالب علم... وهكذا.

قال الله تعالى: ((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) [المنافقون/١٠]).

وقت إخراج الزكاة:

- ١ - يجب إخراج الزكاة على الفور إذا حلَّ وقت وجوبها إلا لضرورة.
- ٢ - يجوز تعجيل الزكاة قبل وجوبها بعد سبب الوجوب، فيجوز تعجيل زكاة الماشية والنقدين وعروض التجارة إذا ملك النصاب.
- ٣ - يجوز إخراج الزكاة قبل سنة أو سنتين، وصرها للفقراء على شكل رواتب شهرية إذا اقتضت المصلحة ذلك.
- ٤ - من ملك أموالاً متفاوتة في الزمن كالرواتب، وأجور العقارات، والإرث، أخرج زكاة كل مال بعد تمام حوله، وإن طابت نفسه وآثر جانب الفقراء وغيرهم جعل لإخراج زكاته شهراً واحداً من شهور السنة كرمضان فهذا أعظم لأجره.

حكم تفريق الزكاة:

يجوز أن يُعطى الجماعة من الزكاة ما يلزم الواحد وعكسه، والأفضل أن يفرق الزكاة بنفسه سراً وعلانية حسب المصلحة، والإسرار هو الأصل إلا لمصلحة.

حكم دفع الزكاة للحاكم:

١ - يجوز للحاكم إذا كان عادلاً أميناً على مصالح المسلمين أن يأخذ الزكاة من الأغنياء ويصرفها في مصارفها الشرعية، ويجب عليه بعث السعاة لقبض زكاة الأموال الظاهرة كسائمة بهيمة الأنعام، والزرورع، والشمار ونحوها؛ لأن من الناس من يجهل وجوب الزكاة، ومنهم من يتكاسل، أو ينسى.

٢ - إذا طلب ولي الأمر الزكاة من الأغنياء وجب دفعها إليه، وتبرأ الذمة بذلك، ولهم أجرها، والإثم على من بدّها.

حكم ضمان الزكاة:

الزكاة بعد وجوبها أمانة في يد المزكي، فإذا تلفت: فإن تعدى أو فرط ضمن، وإن لم يتعد ولم يفرط لم يضمن.

أين تخرج الزكاة؟:

الأفضل إخراج زكاة كل مال في فقراء بلده، ويجوز نقلها إلى بلد آخر لمصلحة، أو قرابة، أو شدة حاجة، والأفضل أن يخرجها بنفسه، ويجوز أن يوكل من يخرجها عنه.

- صفة إخراج زكاة الدين:

١ - من كان له دين على مليء فيخرج زكاته إذا قبضه لها مضي، والأفضل أن يزكيه قبل قبضه، وإن كان الدين على معسر أو مماطل فيزكيه إذا قبضه لسنة واحدة.

٢ - لا يجوز لمن له مال على أحد لا يستطيع سداه أن يسقطه عنه بنية الزكاة.

حكم المال غير المقدور عليه:

المال غير المقدور عليه لا زكاة فيه حتى يقبضه، فمن له مال لم يتمكن من قبضه بسبب غير عائِد إليه كنصيبه من عقار، أو إرث فلا زكاة فيه حتى يقبضه، ويبتدئ له حولاً جديداً تبدأ الزكاة منه؛ لأنه قبل ذلك لا يملك التصرف فيه.

- زكاة المال تتعلق بالمال، فيخرجها في بلده، وزكاة الفطر تتعلق بالبدن فيخرجها المسلم حيثما وجد.

عقوبة مانع الزكاة:

- ١ - مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ جَاهِدًا لَوْ جُوبِهَا وَهُوَ عَارِفٌ بِالْحُكْمِ كَفْرًا، وَأَخَذَتْ مِنْهُ، وَقُتِلَ إِنْ لَمْ يَتَبَّ؛ لِأَنَّهُ مَرْتَدٌ، وَإِنْ مَنَعَهَا بِخِلَافٍ لَمْ يَكْفُرْ، وَأَخَذَتْ مِنْهُ، وَعُزِّرَ بِأَخْذِ شَطْرِ مَالِهِ.
- ٢ - يَجِبُ عَلَى مَنْ مَلَكَ نَصَابًا إِخْرَاجَ زَكَاتِهِ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ كُلِّ مَنْ مَنَعَ إِخْرَاجَهَا.

١ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ((وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٥) [التوبة/ ٣٤ - ٣٥]).

٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثَلًّا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعًا لَهُ زَبَيْتَانِ، يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ -، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكَ، أَنَا كَنْزُكَ))، ثُمَّ تَلَا ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ...))
الآية. (١)

٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنَزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَجْعَلُ صَفَائِحَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)). (٢)

٤ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ - أَوْ كَمَا حَلَفَ - مَا مِنْ رَجُلٍ تَكُونُ لَهُ إِبِلٌ، أَوْ بَقَرٌ، أَوْ غَنَمٌ، لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا، إِلَّا أَتَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنَهُ، تَطَّوَّهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَنَطَّحَهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا جَازَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ)). (٣)

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٠٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٨٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٠).

٨- مصارف الزكاة أهل الزكاة:

أهل الزكاة الذين يجوز صرفها لهم ثمانية وهم المذكورون في قول الله سبحانه: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) [التوبة/٦٠]).

جهات صرف الزكاة: الله عز وجل بحكمته قد يُعَيِّنُ الْمُسْتَحِقَّ وَقَدْرَ مَا يَسْتَحِقُّهُ كَالْفَرَائِضِ وَأَهْلِهَا، وَقَدْ يُعَيِّنُ مَا يُسْتَحَقُّ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ كَالْكَفَارَاتِ، مِثْلَ كَفَارَةِ الظَّهَارِ، وَالْيَمِينِ وَنَحْوَهُمَا، وَقَدْ يَعْينُ الْمُسْتَحِقَّ دُونَ قَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كَأَهْلِ الزَّكَاةِ، وَهَمَّ ثِنَايَة:

- ١ - الفقراء: وهم الذين لا يجدون شيئاً، أو يجدون بعض الكفاية.
- ٢ - المساكين: وهم الذين يجدون أكثر الكفاية، أو نصفها.
- ٣ - العاملون عليها: وهم جباتها، وحُفَّاطُهَا، وَالْقَاسِمُونَ لَهَا، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ مَرْتَبٌ مِنَ الْإِمَامِ فَلَا يَعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ.
- ٤ - المؤلفة قلوبهم: مسلمون أو كفار، وهم رؤساء قومهم، ممن يرجى إسلامه، أو كف شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلامه، أو إسلام نظيره، يُعْطُونَ مِنَ الزَّكَاةِ بِقَدْرِ مَا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْمَقْصُودُ.
- ٥ - في الرقاب: وهم الأرقاء والمكاتبون، الذين اشتروا أنفسهم من أسيادهم، فيعتقون ويعانون من الزكاة، ويدخل فيهم فداء أسرى الحروب من المسلمين.
- ٦ - الغارمون: الغارم: مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَهَمَّ نَوْعَانِ:
 (أ) غارم لإصلاح ذات البين، فيُعْطَى بِقَدْرِ مَا غَرَمَ وَلَوْ كَانَ غَنِيًّا.
 (ب) غارم لنفسه، بِأَنْ تَحْمَلَ دَيْوَنًا، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ وِفَاءٌ.

٧ - في سبيل الله: وهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى ونحوهم كالدعاة إلى الله، فهؤلاء يُعطون من الزكاة إذا لم يكن لهم مرتب، أو لهم مرتب لا يكفيهم.

٨ - ابن السبيل: وهو المسافر المنقطع به سفره وليس معه ما يوصله إلى بلده، فيعطى ما يسد حاجته في سفره ولو كان غنياً.

- لا يجوز صرف الزكاة لغير هؤلاء الأصناف الثمانية، ويبدأ بمن حاجته أشد.

- يجوز صرف الزكاة إلى صنف واحد من أهل الزكاة، ويجوز دفعها إلى شخص واحد من أهل الزكاة في حدود حاجته، وإن كانت كثيرة فيستحب تفريقها على تلك الأصناف.

- من راتبه الشهري ألفي ريال لكنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف ريال شهرياً لتغطية نفقاته ونفقات من يعول فإنه يعطى من الزكاة بقدر حاجته.

- إذا دفع الزكاة إلى من يظنه أهلاً مع الاجتهاد والتحري، فبان أنه غير أهل للزكاة فزكاته مجزئة.

- حكم تنمية أموال الزكاة:

ما وجب من الزكاة يُصرف فوراً لأهل الزكاة، ولا يجوز تأخيره من أجل تنميته، والتجارة فيه لصالح فرد، أو جمعية ونحوهما، وإن كان المال من غير الزكاة فلا مانع من التجارة فيه، وصرفه في أبواب البر.

صور ممن يجوز دفع الزكاة إليهم:

١ - يجوز صرف الزكاة لمن أراد أن يؤدي فريضة الحج وليس عنده ما يكفيه، ويجوز صرفها لفك الأسير المسلم، وصرفها لمسلم أراد الزواج وهو فقير يريد إعفاف نفسه، ويجوز سداد دين الميت من الزكاة.

٢ - يجوز لمن له دين على فقير أن يعطي الفقير من زكاته إذا لم يكن عن تواطؤٍ بينهما بأن يعطيه ليسدد له، ولا يجوز إسقاط الدين واعتباره من الزكاة.

٣ - إذا تفرغ قادر على التكسب لطلب العلم فإنه يعطى من الزكاة؛ لأن طلب العلم نوع من الجهاد في سبيل الله، ونفعه متعدّد.

٤ - يسن دفع الزكاة إلى الفقراء الأقارب الذين لا تلزمه نفقتهم كالإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات ونحوهم.

- الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة.

حكم دفع الزكاة للوالد أو الولد أو الزوج:

١ - يجوز صرف الزكاة إلى الوالدين وإن علوا، وإلى الأولاد وإن سفلوا إذا كانوا فقراء وهو عاجز عن نفقتهم ما لم يدفع بذلك واجباً عليه، وكذا لو تحملوا ديناً أو دية فيجوز أن يقضي عنهم ذلك، وهم أحق به.

٢ - يجوز للزوج دفع زكاته إلى زوجته إذا تحمّلت ديناً، أو كفارة، أما الزوجة فيجوز أن تدفع زكاتها لزوجها إن كان من أهل الزكاة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ زَيْنَبَ امْرَأَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ فَرَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدُهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ((صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ زَوْجَكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ)). (١)

الذين لا يجوز صرف الزكاة لهم:

١ - لا يجوز دفع الزكاة لبني هاشم ومواليهم؛ إكراماً لهم؛ لأنها أوساخ الناس.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٨٠).

عن عبد المطلب بن ربيعة والفضل بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَبْغِي لَالٍ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ)).^(١)

٢ - لا يجوز أن تدفع الزكاة لكافر إلا إن كان مؤلفاً، ولا إلى عبد إلا إن كان مكاتباً.

٣ - لا يجوز أن تُدفع الزكاة إلى غني إلا إذا كان من العاملين عليها، أو من المؤلفة قلوبهم، أو من المجاهدين في سبيل الله، أو ابن سبيل منقطع.

- الغني: من يجد كفاف عيشه وعيش من يعولهم طول العام، إما من مال موجود، أو تجارة، أو صنعة ونحو ذلك.

ما يقوله من أخذ الزكاة:

يسن لمن أعطي الزكاة أن يدعو لمن أعطاه قائلاً: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ)).^(٢)

أو يقول: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ)).^(٣)

أو يقول: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وَفِي إِبْلِهِ)).^(٤)

حكم الإخبار بالزكاة:

مَنْ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ فُلَانًا مِنْ أَهْلِ الزَّكَاةِ وَأَنَّهُ يَقْبَلُ الزَّكَاةَ فَيُعْطِيهِ وَلَا يُخْبِرُهُ أَنَّهَا زَكَاةٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يَدْرِي عَنْهُ، أَوْ كَانَ لَا يَقْبَلُ الزَّكَاةَ فَهَذَا يُخْبِرُهُ أَنَّهَا زَكَاةٌ.

٩- صدقة التطوع

حكمة مشروعية الصدقة:

دعا الإسلام إلى البذل وحض عليه رحمة بالضعفاء، ومواساة للفقراء، إلى جانب ما فيه من كسب الأجر، ومضاعفته، والتخلق بأخلاق الأنبياء، من البذل والإحسان.

حكم الصدقة:

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤١٦٦)، ومسلم برقم (١٠٧٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٩٧)، ومسلم برقم (١٠٧٨).

(٤) صحيح/أخرجه النسائي برقم (٢٤٥٨).

تسن صدقة التطوع بالفاضل عن كفايته وكفاية من يمونه، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار.

والصدقة سنة كل وقت، وتتأكد في زمان وأحوال:

- ١ - فالزمان: كرمضان، وعشر ذي الحجة.
- ٢ - والحالات: أوقات الحاجة أفضل: دائمة كفصل الشتاء، أو طارئة كأن تحدث مجاعة، أو جذب ونحو ذلك.
- وأفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح، والكاشح: من يضمم العداوة.

فضل الصدقة:

- ١ - قال الله تعالى: ((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [البقرة/ ٢٧٤].
- ٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ)).^(١)

أولى الناس بالصدقة:

- أولى الناس بالصدقة أولاد المتصدق، وأهله، وأقاربه، وجيرانه، وخير صدقة تصدق بها المرء على نفسه وأهله، ويثبت أجر الصدقة وإن وقعت في يد غير أهلها.
- خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وجهد المقل أفضل صدقة، وهو ما زاد عن كفايته وكفاية من يمونه.

حكم صدقة المرأة من بيت زوجها:

- يجوز للمرأة أن تتصدق من بيت زوجها إذا علمت رضاه، ولها نصف الأجر، ويجرم إذا علمت أنه لا يرضى، فإن أذن لها فلها مثل أجره.

^(١) أخرجه البخاري برقم (١٤١٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٤).

أفضل أوقات الصدقة:

الصدقة في حال الصحة أفضل منها في حال المرض، وفي حال الشدة أفضل منها في حال الرخاء إذا قصد بها وجه الله عز وجل.

قال الله تعالى: ((وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) [الإنسان/ ٨ - ٩]).

النبي ﷺ لا تحل له الزكاة الواجبة ولا صدقة التطوع، وبنو هاشم ومواليهم لا تحل لهم الزكاة الواجبة، وتحل لهم صدقة التطوع.

حكم الصدقة على الكفار:

تجوز صدقة التطوع على الكافر غير المحارب تأليفاً لقلبه، وسداً لجوعته، ويثاب عليها المسلم، وفي كل كبد رطبة أجر.

حكم إعطاء السائل:

يسن إعطاء السائل وإن صغرت العطية.

عن أم بَجِيدٍ رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، صلى الله عليك، إن المسكين ليقوم على بابي، فما أجد له شيئاً أعطيه إياه، فقال لها رسول الله ﷺ ((إِنَّ لَمْ تَجِدِي لَهُ شَيْئًا تُعْطِينَهُ إِيَّاهُ إِلَّا ظُلْفًا مُحْرَقًا، فَادْفَعِيهِ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ)).^(١)

عقوبة السؤال من غير حاجة:

١ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ((مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِزْعَةٌ حَمٍ)).^(٢)

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فَلَيْسَتْ قِلٌّ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرًا)).^(١)

(١) صحيح أخرجه أبو داود برقم (١٦٦٧)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٦٦٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٧٤)، ومسلم برقم (١٠٤٠) واللفظ له.

من تحل له المسألة؟:

تحرم المسألة إلا من سلطان، أو في أمر لا بد منه كأن يتحمل حمالة، أو تصيبه جائحة، أو أصابته فاقة وليس عنده ما يكفي لذلك، وما سوى ذلك فهو سحت.

عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المَسْأَلُ كُدُوْحٌ يَكْدُحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا)). (٢)

يسن الإكثار من الإنفاق في وجوه البر، وذلك سبب لحفظ ماله وكثرته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا)). (٣)

إذا أسلم المشرك فله أجر صدقته قبل الإسلام:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! رأيت أشياء كنت أتحنت بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة، أو صلة رحم، فهل فيها من أجر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ)). (٤)

آداب الصدقة

الصدقة عبادة من العبادات، ولها آداب وشروط أهمها:

١ - أن تكون الصدقة خالصة لوجه الله عز وجل، لا يعترها، ولا يشوبها رياء، ولا سمعة.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)). (٥)

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٤١).

(٢) صحيح أخرجه أحمد برقم (٢٠٥٢٩)، وأخرجه أبو داود برقم (١٦٣٩)، وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (١٤٤٢)، ومسلم برقم (١٠١٠).

(٤) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (١٤٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٢٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٠٧).

- ٢ - أن تكون الصدقة من الكسب الحلال الطيب، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.
قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)) [البقرة/٢٦٧].
- ٣ - أن تكون الصدقة من جيد ماله وأحبه إليه.
قال الله تعالى: ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)) [آل عمران/٩٢].
- ٤ - ألا يستكثر ما تصدق به، ويتجنب الزهو والإعجاب.
قال الله تعالى: ((وَلَا تَمَنَّؤْا تَسْتَكْتِرُوا)) [المدثر/٦].
- ٥ - أن يجذر مما يبطل الصدقة كالمِن والأذى.
قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) [البقرة/٢٦٤].
- ٦ - الإسرار بالصدقة، وعدم الجهر بها إلا للمصلحة.
قال الله تعالى: ((إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) [البقرة/٢٧١].
- ٧ - أن يعطي الصدقة مبتسماً بوجه بشوش، ونفس طيبة، ويرضي السعاة ببذل الواجب.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((إِذَا آتَاكُمْ الْمُصَدَّقُ فَلْيَصْدُرْ عَنْكُمْ وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ)). (١)

٨ - أن يسارع بصدقته في حال حياته، وأن يدفعها للأحوج، والقريب المحتاج أولى من غيره، وهي عليه صدقة وصلة.

١ - قال الله تعالى: ((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ)) [المنافقون/١٠].

٢ - وقال الله تعالى: ((وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [الأنفال/٧٥].

والله لله رب العالمين

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٨٩) في باب إرضاء الساعي ما لم يطلب حراماً.

رابعاً: السيرة

عطر الكلام في سيرة شيخ الإسلام

مقدمة

لقد اجتهد في زماننا أهل الزيغ والهوى في الحرب على أصول هذا الدين وفروعه، وكان من طرائقهم في ذلك التفتيش في سير أعلام الإسلام من أمثال شيخ الإسلام لعلمهم يظفرون لهم بخطأ أو زلة فيكذبون معها مائة كذبة ثم يطيروها كل مطار وهم في مسعاهم هذا يجمعون بين سوء الطوية وسوء الفهم فيفسرون كلام السلف على غير وجهه وينزلونه في غير مواضعه وكل ذلك من أجل أن يهدموا الدين في نفوس الناس من خلال الطعن فيمن يدلون الناس عليه من العلماء الربانيين، فيستغلون في ذلك جهل الناس بالعلم الشرعي وقلة علمهم بسلفهم الصالح ليقطعوا عليهم الطريق في اقتفاء آثارهم والاستمسك بغرزهم، ليجعل كل جاهل من نفسه أهلاً للنظر في نصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام الشرعية على اعتبار أن السلف رجال وهم رجال، ولا سواء.

وإننا إن كنا لاندعى العصمة لأحد من الأمة بعد نبيها ﷺ إلا أننا نقف منبهين ومحذرين من هذه المكائد الشيطانية والحيل الماكرة حتى لا تنطلي على آحاد الناس. وإننا إذ نعرض سير السلف الصالح نقول للناس من هنا الطريق فاستمسكوا بهذا الغرز وسيروا على هذا السمتم واقتفوا هذا الأثر، وإذا كنا نسعى جاهدين لنفي الأباطيل التي تحاك لسلف هذه الأمة فإننا لا نسعى من وراء ذلك للذب عن أعراضهم فقط - وإن كان هذا أقل حقهم علينا - بل نسعى أصالةً للذب عن حياض هذا الدين إذ الطعن في نقلته إنما هو طعن مباشر فيه.

قال أبو زرعة في سياق حديثه عن الصحابة وهم النقلة الأول للقرآن والسنة:

" إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة" (١)

وإن شيخ الإسلام ابن تيمية أحد أعيان العلماء الذين دافعوا عن منهج السلف الصالح، فدك حصون المبتدعة وأقام الحججة على أهل الزيغ والهوى، وقلما يوجد فن من فنون العلم الشرعي إلا وله فيه حظ وافر.

وكان من طيبة الأشياء أن رجلا هذا شأنه أن يكثر أعداؤه وحساده وشائثه. فقد عادى ﷺ كل صاحب هوى وخاصم كل منحرف في ذات الله، ولم يدهن أحدا في الحق بل صدع به حيث كان، ولذلك كثرت ابتلاءاته ومحنه فلا يخلص من محنة إلا ودخل في أخرى، ولا ينتهي من سجن حتى يزج به في سجن آخر، ولا يتتصر في مناظرة حتى تعقد له أخرى لينطلق لسانه مغترفا من بحر علمه مفندا أضاليل أهل الكلام والبدعة والزندقة وهو في كل ذلك صابر محتسب، بل فرح مستبشر.

وكان من بركات هذا الإمام أن كان من تلاميذه كثير من جهابذة الأمة في كل علم من العلوم الشرعية فمن تلاميذه ابن كثير إمام المؤرخين والمفسرين، والذهبي علم المحققين والحافظ المزي، أحد أكابر أئمة النقل والرجال والحديث وابن عبد الهادي علم التحقيق، وابن القيم إمام الأمة وفارسها، وروحاني الإسلام. . . وخلق كثيرون. . . ثم أصبحت كتبه من بعده كاشفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة، بعد أن لبس الملبسون من أهل الكلام والزندقة على الناس، ونشروا عقائدهم الباطلة في الأمة.

(١) الكفاية في علم الرواية" (ص ٤٩)

وموعدنا الآن مع هذا الإمام العلم والجبل الأشم الذي قال عنه تلميذه الحافظ المزي: "ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه"

اسمه ونسبه:

هو أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني. وذكر مترجموه أقوالاً في سبب تلقيب العائلة بآل (تيمية) منها ما نقله ابن عبد الهادي رحمه الله: (أن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية)، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها.

وقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقب بذلك).

حياته ونشأته:

ولد بمدينة "حران" إحدى مدن العراق، وهي الآن في تركيا. وكانت آنذاك مهد العلم والعلماء، ولد في يوم الاثنين الموافق اليوم العاشر من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وست مائة (٦٦١) للهجرة النبوية. هاجر مع أبيه وعمره سبع سنوات إلى مدينة دمشق بعد أن أغار التتار على حران. وتجشم الصعاب مع أسرته في الطريق. كانوا يسرون ليلاً خوفاً من العدو، وهم يحملون متاعهم الثمين وهو الكتب على عجلة، لعدم توافر الدواب. ويكاد العدو يلحقهم، لولا فضل الله ورحمته.

صفة شيخ الإسلام

أولاً: صفاته الخلقية (الجسدية):

ذكروا في صفته الخلقية أنه: كان أبيض. . أعين. . أسود الرأس واللحية. . قليل الشيب. . شعره إلى شحمة أذنيه. . وكان عينيه لسان ناطق، يعني في نظرتة تشعر

بالرجولة والقوة والشجاعة، بعيد ما بين المنكبين . جهوري الصوت . . فصيحًا .
سريع القراءة . . تعتريه حدة، أي: شدة، ولكنه يقهرها بالحلم رحمه الله وغفر له.

ثانياً: صفاته الخلقية

(١) عبادته:

قال الإمام الذهبي رحمه الله في صفاته الخلقية: كان محافظاً على الصلاة والصيام، معظماً لشعائر الله ظاهراً وباطناً، لا يؤتى على سوء، أي: لا يذكر فيه شيء مما يقدر به، سبحان الله! ادعى عليه أناس واتهموه.

يقول عنه ابن عبد الهادي " والأحوال التي عاش فيها شيخ الإسلام ابن تيمية تشهد بأنه كان متحلياً باليقين والمشاهدة التي بعثت فيه صفة الافتقار والاضطرار والعبودية والإنابة وقد رُوي أنه إذا أشكلت عليه مسألة أو صعب فهم آية التجأ إلى جامع في مكان موحش ووضع جبهته على التراب وردد قوله: يا معلم إبراهيم فهمني " (١)
ويقول الذهبي: " لم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه "

ويقول ابن تيمية " إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل على فاستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينجلي إشكال ما أشكل .
ولا يحول دون هذه الحالة نوع من الجلوة والمجالس وصخب الأسواق يقول: " و
أكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدروب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر
والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي " (٢)

وكان له ذوق خاص في العبادة والمناجاة والخلوة، قيل عنه " كان في ليله منفرداً عن
الناس كلهم خالياً بربه عز وجل ضارعاً إليه، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم مكرراً

(١) العقود الدرية ص (٦)

(٢) الكواكب الدرية ص (١٤٥)

لأنواع التبعيدات الليلية والنهارية وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائضه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة " (١)

" وكان إذا صلى الفجر يجلس في مكانه حتى يتعالى النهار جداً يقول هذه غدوتي لو لم أتعد هذه الغدوة سقطت قواي" (٢). ويقول عنه الذهبي " له أوراد و أذكار يدمنها بكيفية وجمعية" (٣)

زهده وتواضعه:

ومع عبادته ومكانته العلمية كان متواضعاً هاضماً لنفسه منكرًا لذاته يقول ابن القيم " كان كثيرًا ما يقول مالي شيء ولا مني شيء ولا في شيء " وان مدحه أحد في وجهه قال " والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلامًا جيدًا ". وكان ينشد:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

يقول ابن القيم " سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: العارف لا يرى له على أحد حقًا، ولا يشهد له على غيره فضلًا ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب " (٤) كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية زاهدًا في الدنيا مقبلًا على الآخرة يقول زميله في الدراسة ومعاصره الشيخ علم الدين البرازلي " و جرى على طريقة واحدة من اختيار الفقر و التقلل من الدنيا ورد ما يفتح عليه " (٥)

و روى أن الملك الناصر قال له ذات مرة: " سمعت أن الناس أطاعوك وأنت تفكر في الحصول على الملك، فرد عليه الشيخ قائلاً بصوت عالٍ سمعه الناس الحاضرون كلهم:

(١) الكواكب الدرية ص (١٥٦)

(٢) الرد الوافي ص (٣٦)

(٣) الرد الوافي ص (١٨)

(٤) مدارج السالكين (٥١٩/١)

(٥) الرد الوافي ص ٦٥ .

"أنا أفعل ذلك؟ والله إن ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسًا" (١)

جوده وكرمه:

وقد أوثه زهده في الدنيا الجود والسخاء حتى قيل عنه " وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل" (٢)، وكانت تأتيه القناطر المقلطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و الأنعام والحرث فيهب ذلك بأجمعه ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه لا يأخذ منه شيئاً إلا ليهبه ولا يحفظه إلا ليذهبه" (٣)

ويقول عنه الحافظ ابن فضل الله " كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئاً نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء "

قال عنه الإمام الحافظ بن فضل الله العمري وهو من عاصر شيخ الإسلام ابن تيمية: "كانت تأتيه القناطر المقلطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيهب ذلك بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ من شيئاً إلا ليهبه، ولا يحفظه إلا ليذهبه).

وقال عنه أحد من عاصره: " كان يتفضل من قوته الرغيف والرغيفين، فيؤثر بذلك على نفسه!"

- أنسه بالله وطمانينة نفسه:

ونتيجة للإيمان الصحيح واليقين الثابت والتحرر من قيود الشهوات كان الإمام ابن تيمية مطمئن النفس، منشرح الصدر، (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ).

(١) الكواكب الدرية ص ٦٥ .

(٢) الكواكب الدرية ص ١٤٦ .

(٣) الكواكب الدرية ص ١٥٨ .

يقول ابن القيم أن شيخ الإسلام قال مرة: " إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة" (١)، وقال " ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري أتى رحمتي فهي معي لا تفارقني" (٢). ويقول الإمام ابن القيم " زرت ذات ليلة في الرؤيا و ذكرت له بعض الأعمال القلبية فقال: أما أنا فطريقي الفرح والسرور به" (٣)

وكتب في سجنه رسائل كثيرة يبين الحالة الطيبة التي هو فيها، فقال: " كتابي إليكم عن نعم عظيمة و منن كريمة و آلاء جسيمة، نشكر الله عليها و نسأله المزيد من فضله، و نعم الله كلما جاءت في نمو و ازدياد و أياديه جلت عن التعداد" وقال: " فقد فتح الله من أبواب الخير و الرحمة و الهداية و البركة ما لم يكن يخطر على بال و لا يدور في خيال "

و قال: " تعلمون أنا-بحمد الله- في نعم عظيمة و منن جسيمة و آلاء متكاثرة و أيادٍ متظاهرة لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال و لا تدور لهم في خيال "

حفظه وقوته العلمية

"من أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغارا وكبارا وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقله وقائمه بأسمائهم وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها وأي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه

(١) الرد الوافي ص ٣٦ .

(٢) اغائة اللهفان

(٣) الوابل الطيب ص ٦٦ .

لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ونقبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغير ومن جملتها كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول. (١)

قال ابن الزمكاني: "كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسويين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين" (٢)

وكان رحمه الله حسن الاستنباط، قوي الحججة، سريع البديهة:

قال عنه البزار رحمه الله: "وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية، وإبراز الدلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه، وإيضاح المخصص للعام، والمقيد للمطلق، والناسخ للمنسوخ، وتبيين ضوابطها، ولوازمها وملزوماتها، وما يترتب عليها، وما يحتاج فيه إليها، حتى إذا ذكر آية أو حديثاً، وبين معانيه، وما أريد فيه، يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه، ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه" (٣)

التسامح والإنصاف في حياة شيخ الإسلام

لقد وضع ابن تيمية قاعدة للتسامح في حياته السلوكية والعملية، تتلخص هذه القاعدة في قوله: (أحللت كل مسلم عن إيذائه لي) وتفصيلها ما جاء في مجموع الفتاوى قال:

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص (٢٢)

(٢) العقود الدرية، لابن عبد الهادي، ص (٩ - ١٠)

(٣) الأعلام العلية، للحافظ البزار، ص (٣١ - ٣٢)

"فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه فإني قد أحللت كل مسلم. وأنا أحب الخير لكل المسلمين وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسه. والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي". (١)

أمثلة من تسامح شيخ الإسلام ابن تيمية:

(١) موقف ابن تيمية من خصمه علي بن يعقوب البكري الصوفي

ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مختصرة بعنوان (الاستغاثة) وهي رسالة علمية بالأدلة الشرعية في حكم الاستغاثة، فكان رد البكري على هذه الرسالة بالحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بالكفر والزندقة والخروج عن ملة الإسلام!، ولم يكتف بمجرد التكفير بل بالغ في إيذاء ابن تيمية بالقول والعمل، فقد قام باستعداد العوام على الشيخ وحرص الجند وأصحاب الدولة على شيخ الإسلام وشهر به وأقذع الشتيمة في حقه.

وكان البكري الصوفي من أشد الصوفية على شيخ الإسلام ابن تيمية، ففي محنة شيخ الإسلام مع الصوفية سنة ٧٠٧هـ حول قضية الاستغاثة طالب بعضهم بتعزيز شيخ الإسلام، إلا أن البكري طالب بقتله وسفك دمه!

وفي سنة ٧١١هـ تجمهر بعض الغوغاء من الصوفية بزعامة البكري وتابعوا شيخ الإسلام ابن تيمية حتى تفردوا به وضربوه، وفي حادثة أخرى تفرد البكري بابن تيمية ووثب عليه وبتش أطواقه وطيلسانه، وبالغ في إيذاء ابن تيمية!

وحينما تجمع الجند والناس على ابن تيمية يطالبون بنصرته، وأن يشير عليهم بما يراه مناسباً للانتقام من خصمه البكري الصوفي؛ أجابهم شيخ الإسلام بما يلي: (أنا لا أنتصر لنفسه)!

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٥٥)

ولما اشتد طلب الدولة للبكري وضافت عليه الأرض بما رحبت هرب واختفى في بيت ابن تيمية وعند شيخ الإسلام لما كان مقيماً في مصر، حتى شفع فيه ابن تيمية عند السلطان وعفا عنه! (١)

فهذا مثال حي على تسامح شيخ الإسلام، فالبكري قابله بالظلم والتكفير والاعتداء والعدوان والبهتان، وابن تيمية قابله بالعفو والإحسان والكرم، إن في ذلك آية عظيمة لكل منصف سليم القلب.

(٢) ومرة أخرى يجتمع على شيخ الإسلام بعض الفقهاء والقضاة بمصر والشام، وحملوا عليه حملة سيئة، فأفحم الجميع بالحق، وألزمهم الحجج، فلما أفلسوا وشؤوا به إلى الحكام. وبعد أن وشى به بعض العلماء وكذبوا عليه وألبوا الحكام والأمراء عليه وتزلفوا لدى الكبراء في ابن تيمية؛ سُجن وعذب، وتولى كبر ذلك الجرم الشيخ الصوفي نصر المنبجي، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير تلميذ المنبجي، وجماعة من الفقهاء والعلماء، الذين ناصروا الحاكم بيبرس في انقلابه ضد السلطان ناصر ابن قلاوون.

ولكن شاء الله أن تزول إمارة بيبرس ويضم السلطان ناصر بن قلاوون دمشق ومصر إلى حكمه، ولم يكن همّ السلطان إلا الإفراج عن شيخ الإسلام المسجون ظلماً وزوراً. فأخرجه معزراً مكرماً مبعجلاً، ويصل الشيخ إلى البلاط الملكي فيقوم له السلطان تكريماً واحتراماً ويضع يده بيد ابن تيمية ويدخلان على كبار علماء مصر والشام. . . !

ويحتلي السلطان ناصر بن قلاوون بشيخ الإسلام ابن تيمية ويحدثه عن رغبته في قتل بعض العلماء والقضاة بسبب ما عملوه ضد السلطان، وما أخرجه بعضهم من فتاوى بعزل السلطان ومبايعة بيبرس، وأخذ السلطان يحث ابن تيمية على إصدار فتوى بجواز

(١) انظر العقود الدرية (١/٣٠٥)

قتل هؤلاء العلماء، ويذكره بأن هؤلاء العلماء هم الذين سجنوه وظلموه واضطهدوه، وأنها حانت الساعة للانتقام منهم! وأصرَّ السلطان ناصر بن قلاوون على طلبه من شيخ الإسلام كي يخرج فتاوى في جواز قتلهم!

فقام ابن تيمية بتعظيم هؤلاء العلماء والقضاة، وأنكر أن يُنال أحد منهم بسوء، وأخذ يمدحهم ويشني عليهم أمام السلطان وشفع لهم بالعفو والصفح عنهم ومنعه من قتلهم، فقال للسلطان: (إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم من العلماء الأفاضل!) فإرد عليه السلطان متعجبا متحيراً: لكنهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً؟! فقال ابن تيمية: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي! وما زال ابن تيمية بالسلطان يقنعه أن يعفو عنهم ويصفح، حتى استجاب له السلطان فأصدر عفوه عنهم وحرَّ سبيلهم! (١)

ومن أقواله رحمه الله التي تدل على تسامحه:

أ) وأنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه - وإن تعدى حدود الله في تكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية - فأنا لا أتعدى حدود الله فيه (٢)

ب) وأنا كنت من أعظم الناس تأليفاً لقلوب المسلمين وطلباً لاتفاق كلمتهم واتباعاً لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة (٣)
ج) من موافقه لما مات أحد أعدائه:

قال ابن القيم: "وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط وكان يدعو لهم وجئت يوماً مبشراً له

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: (١/١٦٠)

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٢٤٥

(٣) مجموع الفتاوى ٣/٢٢٧

بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له فنهرني وتنكر لي واسترجع ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ونحو هذا من الكلام فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه" (١)

ابن تيمية مريبيا

لقد كان أثره عظيمًا في تلاميذه، فهو القدوة الحسنة، وهو المربي بسلوكه وأقواله، وهو الزاهد العابد، وهو العالم المتيقن، وهو الذي يفزع إليه الناس في حقائق أمورهم وخواص شؤونهم.

يقول عنه تلميذه ابن قيم الجوزية:

"وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون، وضافت بنا الأرض: أتيناها، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة." (٢)

عصره

أولاً: الناحية السياسية:

يستطيع الواصف للحالة السياسية لعصر ابن تيمية رحمه الله أن يحدد معالمها بثلاثة أمور رئيسة:

أ - غزو التتار للعالم الإسلامي.

ب - هجوم الفرنجة على العالم الإسلامي.

ج - الفتن الداخلية، وخاصة بين المماليك والتتار والمسلمين.

وقد ذكر ابن الأثير رحمه الله وصفًا دقيقًا لذلك العصر، وهو من أهله:

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٤٥)

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤ / ٥٢٠)

فقال: (لقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يتل بها أحد من الأمم: منها هؤلاء التتر: فمنهم من أقبلوا من الشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها. ومنها: خروج الفرنج - لعنهم الله - من الغرب إلى الشام وقصدهم ديار مصر وامتلاكهم ثغرها - أي دمياط -، وأشرفت ديار مصر وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم.

ومنها: أن السيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة).

(أ) **فأما التتار:** فقد كانوا فاجعة الإسلام والمسلمين في القرن السابع الهجري، في سقوط بغداد - وبها سقطت الخلافة العباسية - سنة (٦٥٦هـ) وما قبل سقوط بغداد بسنوات، وما بعد سقوط بغداد حيث كانت هذه الأحداث قريبة من ولادة شيخ الإسلام ابن تيمية (ولا بد أن يكون قد شاهد آثار هذا الخراب والدمار بأمر عينيه، وسمع تفاصيله المؤلمة عمّن رأوا مناظره وشهدوها وشاهدوها، فمن الطبيعي أن يتأثر قلبه الغيور المرهف بنكبة المسلمين هذه وذلتهم، وتمتلىء نفسه غيظاً وكراهية لأولئك الوحوش الضواري.

(ب) **وأما ظهور الفرنجة أو (الحروب الصليبية):** فقد كانت ولادة ابن تيمية رحمه الله في بداية الدور الرابع لهذه الحروب الذي يمثل دور الضعف الفرنجي وتجدد قوة المسلمين، باسترداد كثير من المدن الشامية الكبرى، وإكمال مسيرة طرد الفرنج من بلاد المسلمين.

(ج) **وأما الفتن الداخلية:** فما كان يحصل بين المماليك وتنازعهم على السلطة وما كان يحصل بينهم وبين التتر المسلمين، وقد كان لابن تيمية رحمه الله مشاركة في إصلاح بعض هذا، وفي مقدمة مواقف ابن تيمية رحمه الله يذكر المؤرخون قصته مع آخر أمراء المماليك وذلك بتذكيره بحقن دماء المسلمين، وحماية ذرارهم وصون حرمتهم.

ثانياً: الناحية الاجتماعية:

كانت مجتمعات المسلمين خليطاً من أجناس مختلفة، وعناصر متباينة بسبب الاضطراب السياسي في بلادهم.

إذ اختلط التتار - القادمون من أقصى الشرق حاملين معهم عاداتهم وأخلاقهم وطباعهم الخاصة - بالمسلمين في ديار الإسلام الذين هم أقرب إلى الإسلام عقيدة وخلقاً من التتر. ونوعية **ثالثة**: ألا وهي أسرى حروب الفرنجة والترك إذ كان لهم شأن في فرض بعض النظم الاجتماعية، وتثبيت بعض العوائد السيئة، والتأثير اللغوي العام على المجتمع المسلم. إضافة إلى امتزاج أهل الأمصار الإسلامية بين بعضهم البعض بسبب الحروب الطاحنة من التتار وغيرهم، فأهل العراق يفرون إلى الشام، وأهل دمشق إلى مصر والمغرب وهكذا. كل هذا ساعد في تكوين بيئة اجتماعية غير منتظمة وغير مترابطة، وأوجد عوائد بين المسلمين لا يقرها الإسلام، وأحدث بدءاً مخالفة للشريعة كان لابن تيمية رحمه الله أكبر الأثر في بيان الخطأ والنصح للأمة، ومقاومة المبتدعة.

ثالثاً: الناحية العلمية:

في عصر ابن تيمية رحمه الله قل الإنتاج العلمي، وركدت الأذهان، وأقفل باب الاجتهاد وسيطرت نزعة التقليد والجمود، وأصبح قصارى جهد كثير من العلماء هو جمع وفهم الأقوال من غير بحث ولا مناقشة، فألفت الكتب المطولة والمختصرة، ولكن لا أثر فيها للابتكار والتجديد، وهكذا عصور الضعف تمتاز بكثرة الجمع وغزارة المادة مع نضوب في البحث والاستنتاج.

ويحيل بعض الباحثين ذلك الضعف إلى: سيادة الأثر الك والماليك مما سبب استعجاب الأنفس والعقول والألسن، إضافة إلى اجتماع المصائب على المسلمين، فلم يكن لديهم من الاستقرار ما يمكنهم من الاشتغال بالبحث والتفكير.

ولا ينكر وجود أفراد من العلماء النابهين أهل النبوغ، ولكن أولئك قلة لا تنخرم بهم القاعدة. وثمة أمر آخر في عصر ابن تيمية أثر في علمه ألا وهو: اكتمال المكتبة الإسلامية بكثير من الموسوعات الكبرى في العلوم الشرعية: من التفسير، والحديث، والفقه، وغيرها.

فالسنة مبسوطه، والمذاهب مدونة، ولم يعد من السهل تحديد الكتب التي قرأها وتأثر بها، ولا معرفة تأثير شيوخه عليه بدقة.

المجالات العلمية التي أسهم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية

لم يترك الشيخ مجالاً من مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة، وتخدم الإسلام إلا كتب فيه، وتلك خصلة قلماً توجد إلا عند العباقرة النوادير في التاريخ.

فلقد شهد له أقرانه وأساتذته وتلاميذه وخصومه بسعة الاطلاع، وغزارة العلم، فإذا تكلم في علم من العلوم أو فنٍّ من الفنون ظنَّ السامع أنه لا يتقن غيره؛ وذلك لإحكامه له وتبحره فيه. وإن المطلع على مؤلفاته وإنتاجه، والعارف بما كان يعمله في حياته من الجهاد باليد واللسان، والذبِّ عن الدين، والعبادة والذكر، ليعجب كل العجب من بركة وقته، وقوة تحمله وجلده، فسبحان من منحه تلك المواهب.

إنتاج ابن تيمية العلمي

وفي مجال التأليف والإنتاج العلمي، فقد ترك الشيخ للأمة تراثاً ضخماً ثميناً، لا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه معيناً صافياً. وقد توفرت لدى الأمة منه الآن المجلدات الكثيرة، من المؤلفات والرسائل والفتاوى والمسائل وغير ذلك من المطبوع، وما بقي مجهولاً ومكنوزاً في عالم المخطوطات فكثير.

قوته العلمية

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله ^(١): "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد". ^(٢)

(١) ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي، أبو الفتح المعروف بابن دقيق العيد، التصانيف، ولي القضاء بمصر، ت سنة ٧٠٢هـ.

(٢) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١١١.

مما ذكره ابن عبد الهادي رحمه الله عنه في صغره أنه: (سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير. وعني بالحديث وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه).

وقال عنه البزار رحمه الله^(١) "وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية، وإبراز الدلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه، وإيضاح المخصص للعام، والمقيد للمطلق، والناسخ للمنسوخ، وتبيين ضوابطها، ولوازمها وملزوماتها، وما يترتب عليها، وما يحتاج فيه إليها، حتى إذا ذكر آية أو حديثاً، وبين معانيه، وما أريد فيه، يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه، ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه".

محن شيخ الإسلام

لقد تعاقبت المحن على شيخ الإسلام ابن تيمية من خصم لآخر ومن مصر إلى الشام ومن جب إلى سجن وهكذا، وهذه بعض محطات المحن التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والتي كثيراً ما كان يتحالف عليه فيها خصومه من المبتدعة والمتعصبة والجهلة.

(١) البزار: هو عمر بن علي بن موسى البغدادي الأزجي البزار، عني بالقرآن والحديث، وقرأ الكثير، ورحل إلى دمشق، وأخذ عن ابن تيمية وترجم له، وحج مراراً، كان حسن القراءة، ذا عبادة، ت سنة ٧٤٩هـ

لقد امتحن الشيخ مرات عدة بسبب نكاية الأقران وحسد هم، ولما كانت منزلة شيخ الإسلام في الشام عالية عند الولاة وعند الرعية وشى به ضعاف النفوس عند الولاة في مصر، ولم يجدوا غير القدح في عقيدته، فطلب إلى مصر، وتوجه إليها سنة ٧٠٥هـ. بعدما عقدت له مجالس في دمشق لم يكن للمخالف فيها حجة، وبعد أن وصل إلى مصر بيوم عقدوا له محاكمة كان يظن شيخ الإسلام رحمه الله أنها مناظرة، فامتنع عن الإجابة حين علم أن الخصم والحكم واحد.

واستمر في السجن إلى شهر صفر سنة ٧٠٧هـ، حيث طلب منه وفد من الشام بأن يخرج من السجن، فخرج وأثر البقاء في مصر على رغبتهم الذهاب معهم إلى دمشق. وفي آخر السنة التي أخرج فيها من السجن تعالت صيحات الصوفية في مصر، ومطالباتهم في إسكات صوت شيخ الإسلام رحمه الله فكان أن حُير شيخ الإسلام بين أن يذهب إلى دمشق أو إلى الإسكندرية أو أن يختار الحبس، فاختر الحبس، إلا أن طلابه ومحبيه أصروا عليه أن يقبل الذهاب إلى دمشق، ففعل نزولاً عند رغبتهم وإلحاحهم. وما إن خرج موكب شيخ الإسلام من القاهرة متوجهاً إلى دمشق، حتى لحق به وفد من السلطان ليردوه إلى مصر ويخبروه بأن الدولة لا ترضى إلا الحبس. وما هي إلا مدة قليلة حتى خرج من السجن وعاد إلى دروسه، واكب الناس عليه ينهلون من علمه.

وفي سنة ٧٠٩هـ نفي من القاهرة إلى الإسكندرية، وكان هذا من الخير لأهل الإسكندرية ليطلبوا العلم على يديه، ويتأثروا من مواعظه، ويتقبلوا منهجه، لكن لم يدم الأمر طويلاً لهم، فبعد سبعة أشهر طلبه إلى القاهرة الناصر قلاوون بعد أن عادت الأمور إليه، واستقرت الأمور بين يديه، فقد كان من مناصري ابن تيمية رحمه الله وعاد الشيخ إلى دورسه العامرة في القاهرة.

وامتحن شيخ الإسلام بسبب فتواه في مسألة الطلاق، وطلب منه أن يمتنع عن الإفتاء بها فلم يمتنع حتى سجن في القلعة من دمشق بأمر من نائب السلطنة سنة ٧٢٠هـ إلى سنة ٧٢١هـ لمدة خمسة أشهر وبضعة أيام.

وبحث حساده عن شيء للوشاية به عند الولاة فزوروا كلاماً له حول زيارة القبور، وقالوا بأنه يمنع من زيارة القبور حتى قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فكتب نائب السلطنة في دمشق إلى السلطان في مصر بذلك، ونظروا في الفتوى دون سؤال صاحبها عن صحتها ورأيه فيها، فصدر الحكم بحقه في شعبان من سنة ٧٢٦هـ بأن ينقل إلى قلعة دمشق ويعتقل فيها هو وبعض أتباعه واشتدت محنته سنة ٧٢٨هـ حين أُخرج ما كان عند الشيخ من الكتب والأوراق والأقلام، ومنع من ملاقة الناس، ومن الكتابة والتأليف.

من شيوخه:

بلغ عدد شيوخه أكثر من مائتي شيخ، من أبرزهم والده عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٦٨٢)، والمحدث أبو العباس أحمد ابن عبد الدائم (ت ٦٦٨)، وابن أبي اليسر، والشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (ت ٦٨٩)، وابن الظاهري الحافظ أبو العباس الحلبي الحنفي (ت ٦٩٠).

من تلاميذه

أمّا تلاميذه فلا يحصون كثرة، فمن تلاميذه البارزين والمبرزين:

- ١ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١).
- ٢ - والحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤).
- ٣ - والحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني المتوفى (٧٤٢).
- ٤ - والحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨).
- ٥ - وأبو الفتح ابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري المصري (ت ٧٣٤).
- ٦ - والحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي (ت ٧٣٩).

من أقوال شيخ الإسلام

- * من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية (مدارج السالكين)
- * إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه فإن الربَّ تعالى شكور، يعني: أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرّة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول" (مدارج السالكين)
- * بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين" (مدارج السالكين)
- * ذكر الله الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل: فالصبر الجميل: الذي لا شكوى معه. والهجر الجميل: الذي لا أذى معه. والصفح الجميل: الذي لا عتاب معه" (مدارج السالكين)
- * من فارق الدليل ضل السبيل ولا دليل إلا بما جاء به الرسول (مفتاح دار السعادة)
- * وأما الحق فعلينا أن نقبله من كل قائل، وليس لأحد أن يرد بدعة ببدعة، ولا يقابل باطلاً بباطل. منهاج السنة (٣/ ٧٧)
- * من تكلم في الدين بلا علم كان كاذباً، وإن كان لا يتعمد الكذب "مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٤٩)
- * أهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس. منهاج السنة (٥/ ١٥٨)
- * العوارض والمحن هي كالحر والبرد فإذا علم العبد أنه لا بد منهما لم يغضب لورودهما ولم يغتم لذلك ولم يحزن" (مدارج السالكين)
- * إياك نعبد تدفع الرياء، وإياك نستعين تدفع الكبرياء" (مدارج السالكين)
- * الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان. مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٢)
- * من طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون، ومن طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله "مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٠)
- * من تاب أشبه أباه آدم، ومن أصرَّ واحتجَّ بالقدر أشبه إبليس مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٨)
- * العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر. مجموع الفتاوى (٢/ ١٣)

- * من سرّه أن يكون أقوى النَّاس فليتوكل على الله مجموع الفتاوى (٥٥ / ١)
- * السعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتحافه فيهم ولا تخافهم في الله مجموع الفتاوى (٥١ / ١٠)
- * النفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به-النبى- واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا، وذلك إذا فات حصل العذاب مجموع الفتاوى (٥ / ١)
- * فالمؤمن دائماً في نعمة من ربه تقتضي شكرًا، وفي ذنب يحتاج إلى استغفار. مجموع الفتاوى (١٨٧/١٦)

مؤلفاته وأثاره العلمية

قال الحافظ البزار رحمه الله:

(وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرنى جملة أسائها. بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد؛ لأنها كثيرة جداً، كباراً وصغاراً، أو هي منشورة في البلدان فقل بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه). ولما حبس شيخ الإسلام خاف أصحابه من إظهار كتبه، وتفرقوا في البلدان، ومنهم من تسرق كتبه فلا يستطيع أن يطلبها أو يقدر على تحليصها.

ومن مصنفاته

العقيدة الواسطية	مجموع الفتوى
الاستقامة	منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية
الصفدية	اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم
الرسالة التدمرية.	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
العبودية	الصارم المسلول لشاتم الرسول.
الكلم الطيب	درء تعارض العقل والنقل
النبوات	السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية

القواعد النورانية
مقدمة في التفسير
الفتاوى الكبرى

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

رفع الملام عن الأئمة الأعلام

شرح حديث النزول

العقيدة الواسطية

وله من الكتب والرسائل الكثير جدا مما طبع بعضه مستقلاً، وبعضه في مجاميع كبيرة وصغيرة، والكثير منه لا يزال مخطوطاً سواء كان موجوداً أو في عداد المفقود.

ثناء العلماء عليه

١. قال الإمام الذهبي - رحمه الله - في "معجم شيوخه":

هو شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر، عالماً، ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، وتنويراً إلهياً، وكرماً، ونصحاً للأئمة، وأمرأً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرج، ونظر في الرجال، والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره.

برع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه، بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث، وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث، معزواً إلى أصوله وصحابه، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل يقوم بما دليله عنده، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقلية، وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحدّر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، أحيى

به الشام، بل والإسلام، بعد أن كاد ينثلم بثبوت أولى الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم، فظنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، وأشرأب النفاق وأبدى صفحته. ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: إني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه. (١)

٢. وقال الحافظ عماد الدين الواسطي - رحمه الله :-

والله، ثم والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية، علماً، وعملاً، وحالاً، وخلقاً، واتباعاً، وكرماً، وحلماً، وقياماً في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته، أصدق الناس عقداً، وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه همّة، وأسخاهم كفاً، وأكملهم اتباعاً لسنة محمد صلى الله عليه وسلم، ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة. " (٢)

٣. وقال السيوطي رحمه الله

ابن تيمية، الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، الفقيه، المجتهد، المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد المفتي شهاب الدين عبد الحلیم بن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم الحرائي.

أحد الأعلام، ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستائة، وسمع ابن أبي اليسر، وابن عبد الدائم، وعدة.

(١) انظر " ذيل طبقات الحنابلة " لابن رجب الحنبلي (٤ / ٣٩٠) .

(٢) العقود الدرية " (ص ٣١١)

وعني بالحديث، وخرَّج، وانتقى، وبرع في الرجال، وعلل الحديث، وفقهه، وفي علوم الإسلام، وعلم الكلام، وغير ذلك.

وكان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد، والأفراد، ألف ثلاثمائة مجلدة، وامتحان وأوذي مراراً.

مات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.^(١)

وقال تلميذه ابن القيم حين ترجم له: "شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق، ونصرة الدين، الداعي إلى الله ورسوله، المجاهد في سبيله، الذي أضحك الله به من الدين ما كان عابساً، وأحيا من السنة ما كان دارساً. . . " وقال عنه ابن سيد الناس اليعمري: "لم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه" وقال عنه ابن دقيق العيد: " ما كنت أظن أن الله تعالى بقي يخلق مثله " وقال عنه أيضاً: " رأيت رجلاً جمع العلوم بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد " وقال عنه الذهبي: " وأحيا به الشام بل والإسلام بعد أن كاد يثلم " وقال عنه أيضاً: " وهو أكبر من ينه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه في العلم " وقال عنه ابن الزمكاني كما نقل بن رجب في طبقاته: " ولم ير من خمسمائة سنة أحفظ منه " وقال عنه عماد الدين الواسطي: " فوالله ثم والله، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية " وقال أيضاً: " ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية " ١ . ولقد سجل المراغي في كتابه عن ابن تيمية كلمات من نور حيث قال: " ولولا رجال من طراز ابن تيمية ما كنا نستشرف مبادئ السلف الحقّة، وما كنا لنعرف الحق إلا مشوباً برأي ضال مبتدع أو ملبساً. . . "

ثناء خصومه عليه

(١) "طبقات الحفاظ" (ص ٥١٦، ٥١٧).

* قال أبو البقاء السبكي^(١): (والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به)^(٢)

* وحين عاتب الإمام الذهبي (ت - ٧٤٨هـ) الإمام السبكي^(٣) كتب معذراً مبيناً رأيه في شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

(أما قول سيدي في الشيخ، فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخاره بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه، لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان).^(٤)

* وقال ابن مخلوف: "ما رأينا أتقى من ابن تيمية، ولم نبق ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا"
وفاته:

(١) أبو البقاء السبكي: محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي السبكي، بهاء الدين، أخذ عن القونوي وأبي حيان، فمهر في العربية والفقه وأصول الفقه والتفسير، باشر القضاء مراراً، ت سنة ٧٧٧هـ.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر ٤/١٠٩ - ١١٠، بغية الوعاة للسيوطي ١/١٥٢ - ١٥٣.

(٢) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٩٩.

(٣) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، أحد الحفاظ المفسرين، ووالد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولي القضاء في الشام، ثم عاد إلى القاهرة، وتوفي فيها، له ردود على شيخ الإسلام في مسائل كثيرة كمسألة شد الرحل (الزيارة)، وفناء النار، ومسألة الطلاق وغيرها، ت سنة ٧٥٦هـ.

(٤) انظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٠٠.

* قضى شيخ الإسلام ابن تيمية معظم حياته في محن وابتلاءات متتالية، يدخل السجن ثم يخرج منه، في الشام وفي مصر، دخول وخروج، حتى جاءت اللحظة التي دخل فيها بجسده ثم خرج بروحه الطيبة، وذلك عندما اعتقلوه ولآخر مرة سنة ٧٢٦هـ بسجن القلعة بدمشق، بسبب تأليب الصوفية عليه لفتواه الشهيرة بحرمة شد الرحال لزيارة القبور، حتى ظل في المعتقل هذه المرة لأكثر من عامين، وقد ضيقوا عليه بشدة، ولكنه رحمه الله لم يكف عن إعمال عقله وفكره وتدوين علمه، وقد حوّل سجنه من محنة لحرية وجسده إلى منحة لسياحاته الفكرية وإبداعاته العقلية والعلمية لخدمة مشروعه الإصلاحية الكبير لنهضة الأمة.

ولما رأى خصومه فيوضات عقله النير تخرج من خلف الجدران والأسوار ممثلة في رسائله ومؤلفاته الفائقة، أرادوا أن يسكتوا صوت الحق، ويطفئوا نور العلم، فصادروا أقلامه وأوراقه لمنعه من الكتابة، حتى أنه اضطر لأن يكتب الرسائل لأهله وتلاميذه خارج السجن بالفحم على الرسائل التي أرسلوها إليه أولاً بعد أن غسلها بالماء وجففها، فما كان من أعدائه إلا إنهم قد بالغوا في أذيتهم، ونقلوه إلى زنزانة مظلمة فأضرت ببصره فلم يستطع أن يكتب بالفحم، وذلك قبل وفاته بخمسة شهور.

ظن خصوم ابن تيمية أن بجرائمهم تلك قد نالوا من معنوياته وروحه العالية ولكن هيهات هيهات، أنّا بالريح العاتية أن تنال من الجبال الراسية، فلقد انتهز ابن تيمية الأمر وأقبل على كتاب الله عز وجل قراءة وتدبراً ودعاءً وتبتلاً وصلاةً ومناجاةً، وهو في أسعد عيش وأطيب قلب، ويقول هذه الكلمات النيرات: (أنا ماذا يفعل أعدائي بي، أنا جتتي في صدري، أنى رحت فهي معي، أنا حبسي خلوة، ونفسي سياحة، وقتلي شهادة). وقد ختم الشيخ ابن تيمية خلال الشهور الأخيرة من حياته القرآن أكثر من ثمانين مرة.

وفي ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ أن لروحه أن أن تصعد لبارئها وأن للراكب أن يترجل، وللمسافر أن يستقر، وللمبتلى والممتحن أن يترك هذه الدنيا، وكان نبأ وفاته

شديد الوقع على الناس، وكانت آخر كلماته قبل الرحيل أن قرأ قوله عز وجل: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر: ٥٤، ٥٥]، وقد تنادى المؤذنون على منارات الجوامع بنأ وفاته، فأقبل الناس بعشرات الآلاف، لشهود، حتى أن أهل دمشق كلهم رجالاً ونساءً تقريباً قد شهدوا الجنازة، وقد أخرجت صباحاً، ولم يوضع الجسد في اللحد إلا في المغرب، وقد تأسف الناس كلهم محبوه وخصومه على رحيله. (١)

خاتمة:

إزاء هذه المحاسن الباهرة، والفضائل الظاهرة، لم يجد رجال العلم وأصحاب الصلاح في عصره والعصور التي تليها بدءاً من الثناء عليه والالتفاف حوله والاجتماع على محبته والدعاء له يقول الإمام الذهبي "وأخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له" (٢). فلا زال المنصفون في كل زمان ومكان يعرفون للشيخ قدره، و ينزلونه منزله، غفر الله له من عالم عابد زاهد مجاهد، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.

والله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) محنة شيخ الإسلام ابن تيمية، شريف عبد العزيز

(٢) جلاء العينين ص ٧ .

الفهرس

- أولا: تفسير سورة يوسف عليه السلام ٢
- ثانيا: العقيدة ٣٣
- ثالثا: الفقه ٧٦
- رابعا: السير عطر الكلام في سيرة شيخ الإسلام ١٠٦